

مجلة البحث العلمي الإسلامي

ترخيص من وزارة الإعلام رقم ٢٠٠٤/٣٦٤

مجلة إسلامية شهرية متخصصة تعنى بالبحوث والدراسات الإسلامية (تصدر كل ثلاثة أشهر مؤقتاً)

السنة الثالثة - العدد العاشر - ربيع أول ١٤٢٨هـ - آذار ٢٠٠٧م .

الحوالات المصرفية باسم

مجلة البحث العلمي الإسلامي

بنك البركة - لبنان - طرابلس

حساب رقم: ١٣٩٠٣

المراسلات: لبنان - طرابلس ص.ب ٢٠٨

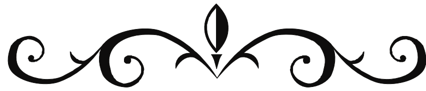
تلفاكس: ٠٠٩٦١٦٤٧١٧٨٨

بريد إلكتروني:

albahs_alalmi@hotmail.com

للاشتراك في المجلة

يرجى إرسال طلب الاشتراك على عنوان المجلة، موضحاً عنوانك البريدي، مع إرسال قيمة الاشتراك على حساب المجلة وإشعارنا بذلك الطلب .



الاشتراك السنوي مضافاً إليه أجور البريد

لبنان ٢٥٠٠٠ل.ل - السعودية ٧٥ريالاً - الكويت ٧ دنانير - الإمارات ٧٥درهماً - الدول العربية ٢٠دولاراً أمريكياً - الدول الأجنبية ٣٠ دولاراً أمريكياً .



سعر النسخة

لبنان ٢٠٠٠ل.ل - السعودية ١٠ريالات - الكويت ١دينار - الإمارات ١٠دراهم - الدول العربية ٣ دولارات أمريكية - الدول الأجنبية ٥ دولارات أمريكية .

شروط يجب أن تتوفر في البحث
الذي يراد نشره في المجلة

إتاحة في الفرصة للمشاركة في الكتابة على صفحات المجلة، وللإفادة من أبحاث العلماء والباحثين، فإن إدارة المجلة ترحب بالمشاركة في مجلة البحث العلمي الإسلامي، وفق الشروط التالية:

❁ أن يكون البحث متخصصاً في مسألة من المسائل العلمية، أو قضية من القضايا الإسلامية النازلة .

❁ أن لا تقل عدد صفحات البحث عن ست، ولا تزيد على عشرين من حجم الورق (A٤) .

❁ أن يتسم البحث بالأسلوب العلمي النزيه الهادف، بعيداً عن المسائل السياسية، وأن لا يتعرض فيه لجهات، أو هيئات، أو أشخاص .

❁ يجب أن يكون البحث موثقاً بعزو المصادر، وتخريج الآيات والأحاديث

❁ أن يكون مطبوعاً على الآلة الكاتبة، أو الحاسوب (الكمبيوتر).

❁ أن يكون البحث جديداً غير منشور .

❁ إرفاق نسخة عن سيرة الباحث الذاتية، مع كتابة عنوانه بالتفصيل .

ملاحظات

❁ لا يلزم من تسليم البحث وإيصاله إلى إدارة المجلة اعتماده ونشره .

❁ لا يدفع للباحث أي مبلغ مقابل نشر بحثه في المجلة .

❁ لا تلتزم إدارة المجلة بإعادة البحث الذي لم ينشر إلى كاتبه .

❁ إن نشر البحث في مجلة البحث العلمي، لا يعني بالضرورة تبنيه، ويبقى تعبيراً عن رأي كاتبه .

المحتويات



فضل المسجد الأقصى وتاريخه

فضيلة الشيخ محمود بن صفا الصياد العكلا ۞

مُقدِّمة:

إنّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢ ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا ١ ﴾ [النساء: ١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا ٧١ ﴾ [الأحزاب: ٧٠ - ٧١].

أما بعد،

فقد جمع الله فضل المسجد الأقصى وبيت المقدس في قوله سبحانه: ﴿ سُبۡحَٰنَ ٱلَّذِيٓ أَسۡرَىٰ بِعَبۡدِهِۦ لَيۡلٗا مِّنَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا ٱلَّذِي بَٰرَكۡنَا حَوۡلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنۡ

۞ مدير التعليم بمعهد الإمام البخاري، حاصل على درجة الماجستير من كلية الآداب والعلوم الإنسانية بجامعة الجنان طرابلس، وكانت الرسالة بعنوان: (أحكام وضوابط العمل الخيري).

ءَايَٰتِنَآۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾ ﴾ [الإسراء: ١].

عراقة المسجد الأقصى:

والمسجد الأقصى عريق في الوجود، فهو ثاني مسجد وضع في الأرض لعبادة الله وتوحيده كما في الصحيحين عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، أي مسجد وضع في الأرض أوّل؟ قال: « **المسجد الحرام** ». قال: قلت: ثم أي؟ قال: « **المسجد الأقصى** ». قال: كم كان بينهما؟ قال: « **أربعون سنة، ثم أينما أدركتك الصلاة بعد فصلّه، فإن الفضل فيه** ».(١)

مكانته في الإسلام:

وهو ثالث المساجد المعظمة في الإسلام التي تشد الرحال إليها لطاعة الله عز وجل وطلب المزيد من فضله. ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **لا تشدّ الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ومسجد الأقصى** ».(٢)

وهو قبلة المسلمين الأولى لمدة ستة عشر أو سبعة عشر شهراً قبل نسخها وتحويلها إلى الكعبة المشرفة.

أخرج البخاري ومسلم عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: صلّينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً ثم صرفنا نحو الكعبة.(٣)

فضل الصلاة فيه:

والصلاة فيه تعدل مائتي وخمسين صلاة في الثواب. فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أيهما أفضل: أمسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم أم بيت المقدس؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « **صلاةٌ في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه، ولَنِعْمَ المُصلَّى هُوَ، وليوشكنَّ أن يكون للرجل مثلُ شَطَنِ فرسه**. وفي رواية: « **مثل قوسه** ». **من الأرض حيث**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣٦٦) في كتاب أحاديث الأنبياء. ومسلم (٥٢٠) في كتاب المساجد ومواضع الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري (١١٨٩) في كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة. ومسلم (١٣٩٧) في كتاب الحج، باب فضل الصلاة بمسجدي مكة والمدينة.

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٩٢) في كتاب التفسير، باب ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ ﴾. ومسلم (٥٢٥) في كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة.

يُرى منه بيت المقدس خيرٌ له من الدنيا جميعاً ». أو قال: « **خير من الدنيا وما فيها** ».[1]

قال الشيخ الألباني رحمه الله: « وأصح ما جاء في فضل الصلاة فيه حديث أبي ذر رضي الله عنه ».[2]

من بنى المسجد الأقصى ؟

تاريخ بيت المقدس والمسجد الأقصى هو تاريخ الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم.

يقول القرطبي: « واختلف في أول من أسس بيت المقدس، فرُوي **أن أول من بنى البيت يعني البيت الحرام آدم** عليه السلام ، فيجوز أن يكون ولده وضع بيت المقدس من بعده بأربعين عاماً، ويجوز أن تكون الملائكة أيضاً بنته بعد بنائها البيت بإذن الله، وكلٌّ محتمل. والله أعلم ».[3]

وقال الحافظ ابن حجر: « وجدت ما يشهد ويؤيد قول من قال أنَّ آدم عليه السلام هو الذي أسس كِلا المسجدين، فذكر ابن هشام في كتاب (التيجان) أنَّ آدم عليه السلام لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس وأن يبنيه فبناه ونسك فيه ».[4]

ثم جاء من بعد ذلك إبراهيم عليه السلام **فجدّد بناءه**، واستمرت إمامة المسجد الأقصى وبيت المقدس في يد الصالحين من ذريته عليه السلام.

وذكر ابن كثير[5]: أنه في عهد يعقوب بن إسحاق عليهما السلام أعيد بناء المسجد بعد أن هدم بناء إبراهيم عليه السلام.

وهكذا حتى آل الأمر إلى داود وسليمان عليهما السلام، **فجدد سليمان** عليه السلام **بناء بيت المقدس**. فقد روى النسائي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم: « **أن سليمان بن داود** عليه السلام **لما بنى بيت المقدس سأل الله** عز وجل **خلالاً ثلاثة: سأل الله** عز وجل **حكماً يصادف حكمه، وسأل الله** عز وجل **ملكاً لا ينبغي لأحد من بعده فأوتيه، وسأل الله** عز وجل **حين فرغ من بناء المسجد أن لا يأتيه أحد لا ينهزه إلا الصلاة فيه**

---

(1) أخرجه الحاكم (٥٠٩/٤) والطبراني في الأوسط. وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١١٧٩).

(2) انظر: السلسلة الصحيحة (٢٩٠٢).

(3) الجامع لأحكام القرآن (١٤٨/٤).

(4) فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤٠٩/٦).

(5) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٨٤/١).

أن يخرجه من خطيئته كيوم ولدته أمه ».[١]

وبناء سليمان عليه السلام هذا هو بناء تجديد وتوسعة وإعداد للعبادة، لا بناء تأسيس. وبهذا يندفع التعارض بأن إبراهيم عليه السلام بنى المسجد الحرام، وسليمان عليه السلام بنى بيت المقدس وبينهما أكثر من أربعين عاماً.

ويقول الإمام البغوي في تفسيره: « قالوا: فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان عليه السلام حتى غزاه بختنصّر فخرب المدينة وهدمها ونقض المسجد ».[٢]

ثم آل الأمر إلى أن كان المسجد الأقصى بيد الروم، وذلك قبل بعثة النبي ﷺ بنحو ثلاثمائة سنة حتى أنقذه الله منهم بالفتح الإسلامي على يد الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضي الله عنه في السنة الخامسة عشر من الهجرة، فصار المسجد الأقصى بيد أهله حقّاً، وبيد من ورثوه حقّاً وهم المسلمون: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ۚ يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا ۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴾ [النور: ٥٥]. **فأسس عمر رضي الله عنه بناءه في الإسلام على شكل متواضع، ثم جدد بناءه على صورته الحالية الخليفة عبد الملك بن مروان الأموي وأتمه ابنه الوليد بن عبد الملك.** وبقي في أيدي المسلمين حتى استولى عليه النصارى من الإفرنج أيام الحروب الصليبية في ٢٣ / شعبان / ٤٩٢ هـ فدخل القدس نحو مليون مقاتل، وقتلوا من المسلمين نحو سبعين ألفاً، ودخلوا المسجد الأقصى، وكان يوماً عصيباً على المسلمين، أظهر فيه النصارى شعائرهم، وغيّروا معالم المسجد، فاتخذوا جانباً منه كنيسةً، وجانباً آخر اسطبلاً لخيلهم ومستودعاً لذخائرهم. وبقي النصارى في احتلالهم للمسجد الأقصى أكثر من تسعين سنة. حتى استنقذه الله من أيديهم على يد صلاح الدين الأيوبي (يوسف بن أيوب) رحمه الله في ٢٧ / رجب / ٥٨٣ هـ، فكان فتحاً مبيناً ويوماً عظيماً مشهوداً. وأمر بإصلاح الجامع وإعادته إلى ما كان عليه قبل الاحتلال الصليبي. وأُتي بالمنبر الذي أمر

---

[١] أخرجه النسائي (٦٩٣) وصححه الألباني في صحيح سنن النسائي.

[٢] تفسير البغوي (٣٨٩/١).

نور الدين محمود بن زنكي بصنعه للمسجد الأقصى من حلب، وهو المنبر الذي أحرقه اليهود في عام ١٩٦٩م.

ثم إن النصارى أعادوا الكرّة على المسلمين وضيّقوا على الملك الكامل ابن أخي صلاح الدين فصالحهم على أن يعيد إليهم بيت المقدس ويخلوا بينه وبين البلاد الأخرى، وذلك في ربيع الآخر سنة ٦٢٦ من الهجرة، فعادت دولة الصليب على المسجد الأقصى مرة أخرى، إلى أن استنقذه منهم الملك الصالح أيوب ابن أخ الكامل سنة ٦٤٢ هـ.

وفي ربيع الأول سنة ١٣٨٧ هـ احتل اليهود المسجد الأقصى بمعونة أوليائهم، ولا يزال المسجد الأقصى تحت سيطرتهم إلى يومنا هذا، ولن يتخلوا عنه إلا على أيدي المسلمين حقاً.

ومما ينبغي التنبيه عليه أن المسجد الأقصى يشمل كل ما هو داخل السور القديم فيحوي المسجد الذي أسسه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومسجد الصخرة الذي بناه الوليد بن عبد الملك وجميع المساحات المحيطة به.

وإن ما يحدث في باحات المسجد الأقصى من محاولة اليهود الحفر تحته للتوصل إلى هدم الأقصى وبناء هيكلهم المزعوم مكانه هو اعتداء على المسجد الأقصى.

ولنعلم أن المسجد الأقصى لا يعود بالصراخ والعويل والشكوى إلى ما يسمى (مجلس الأمن) ولا البكاء على الذكريات. وإنما يعود بأيدي رجال مصلّين موحّدين مؤدين لفرائض الله مجتنبين لمعاصيه. إن الضعف الذي حلَّ بالأمة الإسلامية لا يرتفع بانتفاضة مصروع، ولا بالتحزب الذي يمزق الأمة ويفرق جمعها، ولا بخروج الشباب عن طاعة العلماء، بل إن ذلك من الأسباب التي أدَّت إلى هزيمة المسلمين واحتلال بلادهم.

إن نصر الله عز وجل لا يكون إلا بالإخلاص له والتمسك بدينه ظاهراً وباطناً ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾ [الحج: ٤٠ ـ ٤١].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قَالَ: « **لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر فيقول الحجر أو الشجر: يا مسلم، يا عبد الله هذا يهودي خلفي تعال فاقتله، إلا الغرقد فإنه من شجر اليهود** ».[١]



[١] أخرجه البخاري (٢٩٢٦) في كتاب الجهاد والسير، باب قتال اليهود. ومسلم (٢٩٢٢) في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.



تعداد الآيات في القرآن الكريم

فضيلة الشيخ صالح بن مصطفى بن إسماعيل دلة ۞

مُقَدِّمَة:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب على عبده ولم يجعل له عوجاً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الأمين، الذي خُتم برسالته تعداد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وأصحابه الذين بيّنوا مقاطع الآيات، وعلى التابعين الآخذين عنهم حروف القرآن والروايات، أما بعد:

فهذا بحث أقدمه إلى القراء الراغبين بمعرفة أعداد آي القرآن العزيز التي يتداولها الناس في سائر الآفاق، وأسماء الكتب والشروح التي اعتنت بهذا العلم، كدليل لأصحاب القراءات، ومن اقتنى المفردات من الروايات، إذا أراد نهل العلم في هذا الباب.

وقسمت هذا البحث إلى مبحثين:

المبحث الأول: تعريفات أوّلية، وفيه ثلاثة مطالب:

- **المطلب الأول**: تعريف القراءات لغة واصطلاحاً وأنواعها.
- **المطلب الثاني**: تعريف الآية لغة واصطلاحاً.
- **المطلب الثالث**: الفواصل القرآنية وأقسامها.

۞ خريج معهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية، قرأ القرآن على عدد من المشايخ الحفّاظ وأجيز بالقراءات العشر ومتن الجزرية، وحاصل سابقاً على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال من الجامعة اللبنانية الأميركية في بيروت.

المبحث الثاني: علم الفواصل أو تعداد الآيات، وفيه مطلبان:

ـ **المطلب الأول**: تعريفه واستمداده وأهدافه وثمرته.

ـ **المطلب الثاني**: الأعداد المتداولة بين القراء.

أولاً: تعريف القراءات:

أ ـ لغة: جمع قراءة، والقــراءة مشتقة من مادة (ق ر أ)، وهــي مصدر للفعل قرأ، يُقال: قرأ يقرأ قرآناً وقراءة، فــكل منهما مصــدر للفعل. وهو على وزن (فِعَالة)، وهذا اللفظ يستعمل للمعاني التالية:

١ ـ الجمع والضم: أي جمع وضم الشيء إلى بعضه.

قال أبو عبيدة معمر بن المثنى: « إنما سمي قرآناً لأنه يجمع السور ويضمها ».[١]

٢ ـ التلاوة، وهــي النطق بالكلمات المكتوبة، ومنه قولهم: قــرأت الــكتاب، أي: تلوته. وسميت التلاوة (قراءة) لأنها ضــم لأصــوات الحروف في الذهن لتكوين الكلمات التي ينطق بها. [٢]

ب ـ اصطلاحاً: هي علم بكيفية أداء كلمات القرآن الكريم واختلاف النطق بها معزوة إلى علماء القرآن ومجوّديه ومقرئيه.

وثمة قراءات سبعة، وثلاثة، وعشرة، ومتواترة، وشاذة.

فالسبعة: هي قراءة نافع، وابن كثير، وأبــي عمرو، وابن عامر، وعــاصم، وحمزة، والكسائي.

والقراءات الثلاث: هي قراءة أبي جعفر، ويعقوب، وخلف.

والعشر: هي السابقتان معاً.

والمتواترة: هي القراءة التي روتها الكافة عن الكافة في كل طبقة من طبقات السند. فلا قرآن إلا ما ثبت بطريق التواتر المفيد للعلم القطعي اليقيني.[٣]

والشاذة: هي القراءة التي تروى آحاداً أو تخالف خط المصحف العثماني الإمام.

---

[١] مجاز القرآن لابن قتيبة (١/١).

[٢] انظر: المعجم الوسيط، مادة (ق ر أ). ومعجم ألفاظ القرآن الكريم، مادة (ق ر أ). ولسان العرب، مادة (ق ر أ).

[٣] ذكر العلماء ضوابط وشروطاً للقراءة المتواترة هي: ١ـ التواتر. ٢ـ موافقة أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً. ٣ـ موافقة اللغة العربية ولو بوجه من الوجوه. انظر: الأبيات في شرح طيبة النشر لأبي بكر أحمد بن محمد بن الجزري (٧).

والقراءة الشاذة لا تعني ضعف السند، فقد تكون صحيحة السند وموافقة للّغة العربية، ولكنها لم تثبت بطريق التواتر.[١][٢]

ثانياً: تعريف الآية:

أ ـ لغةً: ١ ـ هي العلامة، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ ﴾ [البقرة: ٢٤٨].

٢ ـ العبرة، قال الله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾ [المؤمنون: ٥٠].

٣ ـ الجماعة، يقال: خرج القوم بآيتهم، أي جماعتهم.

ب ـ واصطلاحاً: طائفة من القرآن منقطعة عمّا قبلها وعمّا بعدها.

وسمّيت الآية القرآنية آيةً لأنها عجيبة من جهة نظمها ومعانيها المستترة فيها، فهي علامة على أنها كلام العليم الحكيم سبحانه.[٣]

جاء في علوم البلاغة: « وجد فيه العرب أسلوباً مغايراً لأساليبهم، وفصاحة لم يرقَ إلى مثلها بشر، وبلاغة لم يوصف بمثلها كلام. تحدّى بلاغة العرب التي كانت موضع فخرهم وزهوهم ».[٤]

المطلب الثالث: الفواصل القرآنية وأقسامها:

أولاً تعريف الفواصل: الفواصل جمع فاصلة، وهي الكلمة التي تكون في آخر الآية القرآنية. فهي كقرينة السجع في النثر، وقافية البيت في الشعر.

ثانياً: كيف تعرف الفاصلة ؟

تُعْرف الفاصلة القرآنية بطريقتين:

أ ـ **الطريق التوقيفي**: وهو ما ثبت عن النبي ﷺ أنه وقف عليه دائماً. وما وصله دائماً لم نعده فاصلة، وما وقف عليه مرة ووصله مرة أخرى، فإن الوقف يحتمل أن يكون للدلالة على الفاصلة القرآنية ونهاية الآية، أو للدلالة على الوقف التام، أو يكون

---

[١] من القراءات الشاذة: قراءة ابن محيصن، وابن شنبوذ، والحسن البصري، والأعمش. انظر: القراءات الشاذة وتوجيهها من لغة العرب لعبد الفتاح القاضي.

[٢] معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، باب القاف (القراءات).

[٣] معجم علوم القرآن، إبراهيم محمد الجرمي، باب الألف (الآية).

[٤] علوم البلاغة، الدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محي الدين ديب (١٥).

استراحة.[١]

ب ـ **الطريق القياسي**: وهو إلحاق غير المنصوص عليه بالمنصوص عليه، لا سيّما في المختلف في وصله والوقوف عليه، فهو محل النظر والاجتهاد والقياس.

ثالثاً: أقسام الفواصل القرآنية:

١ ـ **فواصل متوازية**: وهي اتفاق أواخر الآيات في الوزن وحرف الروي. مثاله قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ﴾ [النجم: ١ ـ ٣].

٢ ـ **فواصل متوازنة**: وهو اتفاق أواخر الآيات في الوزن دون الروي. مثاله قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [الصافات: ١١٧ ـ ١١٨].

٣ ـ **فواصل مطرَّفة**: وهي اتفاق أواخر الآيات في الروي دون الوزن. مثاله قوله تعالى: ﴿ ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴾ [القمر: ١ ـ ٢].

ومع انعدام الوزن في هذا النوع من الفواصل إلا أن القرآن استخدم فيها التشابه المقطعي إلى حد كبير. فالفواصل تتفق في أكثر المقاطع، ولا يقع الخلاف بينها إلا في مقطع واحد غالباً.

٤ ـ **فواصل مرسلة**: وهي عدم اتفاق أواخر الآيات لا في الوزن ولا في حرف الروي. مثاله قوله تعالى: ﴿ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾ [الضحى: ١٠ ـ ١١].

ومع عدم التماثل في الوزن وحرف الروي في هذا النوع إلا أن القرآن يحقق قدراً كبيراً من الإيقاع المنضبط فيه.

رابعاً: حروف الفواصل القرآنية:

من سور القرآن ما بُنيت فواصلها على حرف واحد، نحو: سورة المنافقين بُنيت على حرف النون، وسورة الإخلاص بُنيت على حرف الدال، وسورة القدر بُنيت على حرف الراء. ومنها ما بُني على حرفين نحو سورة الجمعة بُنيت على حرفي النون والميم، ومنها ما بُني على أربعة أو خمسة أحرف. وأكثر فواصل القرآن بُنيت على أربعة أحرف هي: النون

---

[١] سيأتي بيانه مفصلاً إن شاء الله تحت تعريف علم الفواصل.

والـلام والـراء والميم.[١]

المبحث الثاني: علم الفواصل (تعداد الآيات):

المطلب الأول: تعريفه واستمداده وأهدافه وثمرته.

أولاً: تعريفه: هو فنٌّ يُبحث فيه عن أحوال آيات القرآن من حيث إن كلّ سورة كم آية، وما رؤوسها، وما خاتمتها.[٢]

ثانياً: أسباب الخلاف في عدّ الآي: بما أن معرفة رؤوس الآيات تتوقف على النقل والسماع، فإن الصحابة ﷺ لما سمعوا القرآن من رسول الله ﷺ ونقلوه عنه، نقلوا ما كان يقف عليه، وما كان يصله أداءً وتلاوةً.

فما كان يقف عليه دائماً عدّوه آية، وما وصله دائماً فليس آية، وما كان يقف عليه مرة ويصله أخرى اختلفوا في عدّه واعتباره آية.[٣]

ثالثاً: استمداده: هو علم مستمد من مقدمات منقولة عن الصحابة ﷺ مبنية على الأمور الاستحسانية. وهو علم توقيفي لما نُقل عن عطاء السلمي رحمه الله أنه قال: حدثني الذين كانوا يُقرِؤوننا، وهم عثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وأبي بن كعب ﷺ أن رسول الله ﷺ كان يقرؤهم العشر من القرآن، فلا يجاوزونها إلى عشر أُخر حتى يتعلموا ما فيها من العمل. فقالوا: تعلمنا القرآن والعمل جميعاً.

وهذا دليل واضح، وبرهان قاطع على أن فواصل ورؤوس الآي قد عُلمت بالتوقيف عن النبي ﷺ.

قال الإمام الداني في (البيان في عدّ آي القرآن): « إن الصحابة ﷺ قد علموا المقدار الذي أراده النبي ﷺ من رؤوس الآي، وعلموا ابتداءها وانتهاءها، وذلك بإعلامه عليه الصلاة والسلام إياهم عند التلقين والتعليم برأس الآية ».[٤]

وقد وردت إشارات نبوية إلى الآي وعدّها، منها:

ما رواه البخاري رحمه الله أن النبي ﷺ قال: « **الحمد لله رب العالمين هي السبع**

---

[١] معجم علوم القرآن باب الفاء (الفواصل القرآنية).

[٢] شرح ناظمة الزهر (١٠٦).

[٣] معجم علوم القرآن، باب الألف (الآية). وانظر ما تقدم في: (كيف تعرف الفاصلة القرآنية؟).

[٤] شرح ناظمة الزهر (١٠٦).

المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».[1]

وقال ﷺ: «**من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**».[2]

وقال عليه الصلاة والسلام: «**من حفظ عشر آيات من آخر سورة الكهف عصم من الدجال**».[3]

رابعاً: الغرض من علم الفواصل:

تحصيل ملكة يُقتدر بها على معرفة رؤوس الآي ومبادئها.

خامساً: فائدة هذا العلم:

فوائد هذا الفن أمور عديدة:

١ ـ **معرفة الوقف المسنون**: لأن الأفضل الوقف على رؤوس الآيات وإن تعلقت بما بعدها اتّباعاً لهدي النبي ﷺ.

٢ ـ **اعتبارها في السور التي تقرأ في الصلاة**: ففي الصحيح أنه ﷺ كان يقرأ في الصبح بالستين إلى المائة.[4]

٣ ـ **اعتبارها في قيام الليل**: فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين**».[5]

٤ ـ اعتبارها في رؤوس الآيات اللاتي يميلها حمزة والكسائي، ويقللها ورش وأبو عمرو، كسورتي طه والنجم ونحوهما من السور الإحدى عشرة اللاتي تُمال رؤوس آيها.[6][7]

---

[1] أخرجه البخاري (٤٤٧٤) في كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب.

[2] أخرجه البخاري (٥٠٠٩) في كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة البقرة. ومسلم (٨٠٨) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة، والحث على قراءة الآيتين من آخر البقرة.

[3] أخرجه مسلم (٨٠٩) في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل سورة الكهف وآية الكرسي.

[4] أخرجه البخاري (٥٤١) في كتاب مواقيت الصلاة، باب وقت الظهر عند الزوال. ومسلم (٦٤٧) في كتاب المساجد، باب استحباب التبكير بالصبح في أول وقتها، وهو التغليس، وبيان قدر القراءة فيها.

[5] أخرجه أبو داود (١٣٩٨) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[6] شرح المخللاتي على ناظمة الزُهر (٩٠ ـ ٩٢).

[7] أمال حمزة والكسائي الألفات المقصورة الموجودة في أواخر الآيات سواء كانت واوية أو يائية مطلقاً إلا الكلمات التي اختص بإمالتها الكسائي وحده. ولا تمال الألفات المنقلبة عن تنوين نحو: ﴿ نَسْفًا ﴾، ﴿ عِلْمًا ﴾... وهذه السور الإحدى عشرة

المطلب الثاني: الأعداد المتداولة بين القراء:

أولاً: كم عدة الأعداد المتداولة ؟

الأعداد التي يتداولها الناس ويعدّون بها في سائر الآفاق ستة، على عدد المصاحف الموجَّه بها إلى الأمصار على أصح الأقوال فيها.

قال الإمام علي الضباع رحمه الله: « كُتبت المصاحف العثمانية على الترتيب المكتوب في اللوح المحفوظ بتوقيف من جبريل عليه السلام للنبي ﷺ على ذلك وإعلامه عند نزول كل آية بموضعها مجردة من النقط والشكل، متفاوتة في الحذف والإثبات والبدل والفصل والوصل لتحتمل ما صح نقله وتواتر من القراءات المأذون فيها، واختلف في عدد المصاحف العثمانية فقيل: أربعة، وقيل: خمسة، وقيل: ستة، وقيل: سبعة، وقيل: ثمانية، والصحيح أنها ستة، أرسل منها سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه مصحفاً إلى مكة، ومصحفاً إلى الشام، ومصحفاً إلى الكوفة، ومصحفاً إلى البصرة، وأبقى بالمدينة مصحفاً، وهو الذي ينقل عنه نافع، واحتبس لنفسه مصحفاً، وهو الذي ينقل عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ـ وهو الذي يقال له الإمام ـ، قيل: يقال لكل منها إمام، وقد بعث سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه مع كل مصحف من المصاحف المذكورة عالماً يقرئ أهل مصره بما يحتمله رسمه من القراءات مما صحّ وتواتر، فأمر زيد بن ثابت رضي الله عنه أن يقرئ أهل المدينة بالمدني، وبعث عبد الله بن السائب مع المكي، والمغيرة بن أبي شهاب مع الشامي، وأبا عبد الرحمن السلمي مع الكوفي، وعامر بن عبد قيس مع البصري، وكان في تلك البلاد في ذلك الوقت الجمُّ الغفير من حفاظ القرآن، فقرأ كل مصر بما في مصحفه، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه عن النبي ﷺ، وقد اصطلح أهل الفن على تسمية الخاص والمدني بالمدنيين، وعلى تسمية الكوفي والبصري بالعراقيين، ولم يلتزموا النقل

هي أيضاً التي خرج فيها ورش وأبو عمرو عن قاعدتهما المطردة في التقليل، فخرج ورش عن قاعدته بتقليل ألفات رؤوس آيها قولاً واحداً إلا الألفات المبدلة من التنوين، واستُثني له ما فيه (ها) مثل: ﴿ ضُحَنَهَا ﴾، ﴿ فَسَوَّنهَا ﴾: فله فيها الفتح والتقليل. وخرج أبو عمرو عن قاعدته في هذه السور لأنه يُقلل رؤوس آياتها مطلقاً، سواءً أكانت على وزن (فعلى) مثلث الفاء أم لا، وسواء أكانت اسماً أم فعلاً، إلا إذا وقعت هذه الألفات بعد راء مثل: ﴿ ٱلثَّرَىٰ ﴾ فله فيها الإمالة على قاعدته.

والسور التي تُمال أو تُقلل فيها نهاية الآيات هي: طه، النجم، المعارج، القيامة، النازعات، عبس، الأعلى، الشمس، الليل، الضحى، العلق. (انظر: البدور الزاهرة للشيخ عبد الفتاح القاضي (٢٠٠ ـ ٢٠١). وتقريب المعاني شرح حرز الأماني للشيخين العلمي وسيد لاشين (١٣٢)).

عن المصاحف العثمانية مباشرة، بل ربما نقلوا عن المصاحف التي نقلت منها ».[١]

ولذلك كان لأهل المدينة الشريفة عددان، وواحد لأهل مكة، وواحد لأهل الشام[٢]، وواحد لأهل الكوفة، وواحد لأهل البصرة.[٣]

ذكر القراء العشر على تقسيم الأمصار:

١ و ٢ ـ **المدنيان**: نافع وأبو جعفر.

٣ ـ **المكي**: ابن كثير.

٤ ـ **البصري**: أبو عمرو ويعقوب.

٥ ـ **الشامي**: ابن عامر.

٦ ـ **الكوفي**: عاصم وحمزة والكسائي وخلف العاشر.[٤]

وعليه فإن المصاحف المطبوعة، والتي ستطبع إن شاء الله تعالى لروايات هذه القراءات، عليها أن تعتمد على العدّ المناسب لها، لأن كل قارئ من أئمة القراءات يَعْتَبِرُ غالباً بعَدَدِ بلده، فالقراء الكوفيون يعتبرون العدّ الكوفي، وابن كثير يعتبر العدّ المكي، وهكذا.[٥]

ثانياً: ذكر الأعداد المعتمدة عند القراء:

١ ـ فأما **العدد الأول (المدني الأول)** لأهل المدينة: فهو ما رواه الإمام الداني بسنده إلى الإمام نافع القاري[٦] عن الإمام أبي جعفر يزيد بن القعقاع[٧]. وعن الإمام شيبة بن نصاح مولى أم سلمة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ.

---

[١] انظر النسائج الحسان (٥٧).

[٢] لم أتعرض لذكر التعداد الحمصي ـ وهو ما انفرد بعده شريح بن يزيد الحمصي الحضرمي عن ابن عامر ويحيى بن الحارث الذماري ـ موافقةً لأصح الأقوال. وتعداد الآي عنده (٦٢٣٠) أو (٦٢٣٢) آية.

[٣] شرح ناظمة الزهر للمخللاتي (١٠١).

[٤] البدور الزاهرة (٥ ـ ٦).

[٥] ذهب الداني وتبعه الجعبري في شرح اللامية إلى أن ورشاً والبصري يعتبران عدَّ المدني الأول. ورجّح العلامة ابن الجزري في النشر وتبعه في ذلك الصفاقسي في غيث النفع إلى أن ورشاً يعتبر عدد المدني الثاني وأن أبا عمرو يعتبر العدد البصري.

[٦] أحد القراء السبع.

[٧] أحد القراء العشر.

وعدد آيات القرآن فيه: (٦٢١٠) آيات، واختلف أبو جعفر وشيبة في ست آيات.[١]

قال في معجم علوم القرآن: « وهذا هو ما رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة بدون تعيين أحد منهم، وعدد آي القرآن في رواية الكوفيين عن أهل المدينة (٦٢١٧) آية.

وروى أهل البصرة عدد المدني الأول عن ورش عن نافع عن أبي جعفر وشيبة، وعدد آي القرآن الكريم في رواية أهل البصرة عن ورش (٦٢١٤) آية ».[٢]

٢ ـ وأما **العدد الثاني (المدني الأخير)** لأهل المدينة: فهو ما رواه الإمام الداني بسنده إلى إسماعيل بن جعفر عن سليمان بن جماز[٣] عن أبي جعفر وشيبة بن نصاح.

وعدد الآيات فيه: (٦٢١٤) آية.[٤]

٣ ـ وأما **العدد المكي**: فهو ما رواه الإمام الداني بسنده إلى عبد الله بن كثير القاري[٥] عن مجاهد عن ابن جبر عن ابن عباس رضي الله عنهما عن أُبي بن كعب ﷺ.

وعدد الآيات فيه: (٦٢١٠) آيات.[٦]

٤ ـ وأما **العدد الشامي**: فهو ما رواه الإمام الداني بسنده إلى الإمام يحيى بن

---

(١) اعتمد هذا التعداد في مصحف الجماهيرية الليبية لرواية قالون عن نافع، ومجموع الآيات فيه (٦٢١٤) آية، وذلك لاتباعهم فيها رأي الإمام أبي جعفر عند الخلاف. واعتمده أيضاً مجمع الملك فهد رحمه الله لمصحف دوري البصري آخذين بمذهب الداني في اختياره لهذا التعداد للبصري، وذلك مراعاة لما جرى عليه العدد في السودان حيث إنهم يعدّون الآي بعدد المدني الأوّل، وقد ذكرت اللجنة القائمة على طباعة هذا المصحف أن عدد آي القرآن لهذا العدد هي: (٦٢١٤) آية ما عدا الآيات المختلف فيها بين أبي جعفر وشيبة، وقد جمعتُ عدد الآيات في هذا المصحف فبلغت (٦٢١٨) آية، أي أنهم أخذوا بما ورد عن شيبة. والمواضع الستة التي اختلف فيها شيبة وأبو جعفر هي: ١ ـ [آل عمران: (٩٢)] : ﴿ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ عدّها شيبة. ٢ ـ [آل عمران: (٩٧)] : ﴿ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ عدّها أبو جعفر. ٣ و ٤ و ٥ و ٦ ـ [الصافات: (١٦٧)] : ﴿ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴾، [الملك: (٩)] : ﴿ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ ﴾، [عبس: (٢٤)] : ﴿ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴾، [التكوير: (٢٦)] : ﴿ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴾: قد عدّها شيبة جميعاً.

(٢) معجم علوم القرآن، باب العين، عدّ المدني الأول.

(٣) أحد راويي أبي جعفر القاري.

(٤) اعتمد مجمع الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله هذا التعداد لمصحف ورش المطبوع، وعدد الآيات فيه (٦٢١٤) آية، أي آخذين بما ورد عن شيبة ومرجحين به على تعداد أبي جعفر في المدني الأخير الذي هو (٦٢١٠) آيات، وآخذين أيضاً بما رجّحه العلامة ابن الجزري في النشر وتبعه في ذلك الصفاقسي في غيث النفع إلى أن ورشاً يعتبر عدد المدني الثاني. وقد طبعت بعض المؤسسات مصحفاً برواية ورش معتمدين فيه العدّ الكوفي، وخارجين عما رجّحه الإمامان الداني وابن الجزري، ولا أدري لماذا !

(٥) أحد القراء السبع.

(٦) وورد أيضاً أن عدد الآيات فيه (٦٢٢١) آية.

الحارث الذماري بسنده إلى الإمام عبد الله بن عامر القاري اليحصبي [١] وغيره عن أبي الدرداء رضي الله عنه.[٢]

وعدد آيات القرآن فيه: (٦٢٢٦) أو (٦٢٢٧) آية.

٥ ـ وأما **العدد الكوفي**: فهو ما رواه الداني بسنده إلى حمزة بن حبيب الزيات[٣] وإلى سفيان الثوري، كلاهما بسندهما عن علي رضي الله عنه.

وعدد آيات القرآن فيه: (٦٢٣٦) آية.[٤]

قال في المعجم: « وهذا العدد الكوفي هو المروي عن أهل الكوفة موصولاً إلى الإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه. أما ما رواه أهل الكوفة عن أهل المدينة فهو المدني الأول ».[٥]

٦ ـ وأما **العدد البصري**: فهو ما رواه الإمام الداني بسنده إلى عاصم الجحدري وعطاء بن يسار.

وعدد آيات القرآن فيه: (٦٢٠٤) آيات[٦].[٧]

ثالثاً: هل تعدّ فواتح السور ؟

حاصل القول في فواتح السور التسع والعشرين أن الكوفي انفرد بعدِّها آية مستقلة، إلا الفواتح الوتر، أي ما كان على حرف واحد (وهي: صٓ، قٓ، نٓ)، ولم يعدّ الكوفي (طسٓ) أول النمل، ولا (الٓر) في مواضعها الخمسة، ولا (الٓمٓر) أول الرعد.[٨]

---

[١] أحد القراء السبع.

[٢] وينسب هذا العدّ إلى عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد سرد الإمام الذهبي في معرفة القراء الكبار (١٨٧/١ ـ ١٩٧) عمَّن حمل ابن عامر القراءة على اثني عشر قولاً، فلتراجع ثمة.

[٣] أحد القراء السبع.

[٤] وهذا العدد هو الذي اعتمده مجمع الملك فهد بن عبد العزيز رحمه الله في مصحف المدينة النبوية لرواية حفص عن عاصم الكوفي.

[٥] معجم علوم القرآن، باب العين (العدّ الكوفي).

[٦] وأما ما ينسب بعد إلى أيوب بن المتوكل للتعداد البصري فعدّ الآي عنده (٦٢٠٥) آيات. وقد اعتمدت دار ابن كثير ـ بيروت التعداد البصري لمصحف دوري البصري المطبوع لديها، وهو المصحف الذي قام بالإشراف عليه الشيخ محمد فهد خاروف الجامع للقراءات العشر الصغرى والكبرى وصاحب كتاب التسهيل لقراءات التنزيل المعتمد لدى المشايخ الشاميين، وقد أخذ فيه ترجيح ابن الجزري رحمه الله بأن تعداد البصري هو التعداد للقراءة البصرية.

[٧] شرح ناظمة الزهر (١٠١ ـ ١٠٤).

[٨] النسائح الحسان، محمد أبو الخير (٨).

رابعاً: أمثلة على اختلاف العدّ:

ونمثّل لسور في القرآن وخلاف أهل العدد فيها:

١ ـ **سورة الفاتحة**: عدد آياتها (٧) عند جميع أهل العدد، والخلاف فيها في موضعين:

أ ـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾: عدّها رأس آية: الكوفي والمكي.

ب ـ ﴿ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾: عدّها البصري والمدني والشامي.

٢ ـ سورة الأنعام:

رقم الآية	رؤوس الآيات المختلف فيها	العراقي		الحرمي		الشامي
		الكوفي	البصري	المدني	المكي	الدمشقي
١	الٓمٓ	عدّها	—	—	—	—
٣	وَأَنزَلَ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ	عدّها	عدّها	عدّها	عدّها	—
٤	وَأَنزَلَ ٱلْفُرْقَانَ	—	عدّها	عدّها	عدّها	عدّها
٤٨	وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ	عدّها	—	—	—	—
٤٩	وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ	—	عدّها	عدّها	—	—
٩٢	تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ	—	—	عدّها شيبة	عدّها	عدّها
٩٧	مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ	—	—	عدّها يزيد	—	عدّها
	مجموع عدد الآيات	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠	٢٠٠

٣ ـ سورة الأنفال:

رقم الآية	رؤوس الآيات المختلف فيها	العراقي		الحرمي		الشامي
		الكوفي	البصري	المدني	المكي	الدمشقي
٣٦	ثُمَّ يُغْلَبُونَ	—	عدّها	—	—	عدّها
٤٢	أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا	—	عدّها	عدّها	عدّها	عدّها
٦٢	بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ	عدّها	—	عدّها	عدّها	عدّها
	مجموع عدد الآيات	٧٥	٧٦	٧٦	٧٦	٧٧

خامساً: السور التي لم يرد فيها خلاف:

لم يرد الخلاف إجماعاً بين أهل العدد في كثير من السور، بلغت سبعاً وثلاثين سورة هي على الترتيب: سورة الحجر والنحل والفرقان والأحزاب والفتح والحجرات وق والذاريات والقمر والحشر والممتحنة والصف والجمعة والمنافقون والتغابن والقلم والإنسان والمرسلات والانفطار والمطففين والبروج والأعلى والغاشية والبلد والليل والضحى والشرح والتين والعاديات والتكاثر والهمزة والفيل والكوثر والكافرون والنصر والمسد والفلق.

سادساً: كتب ومنظومات في علم الفواصل (عدّ آي القرآن):

١ ـ البيان في عدّ آي القرآن، لأبي عمرو الداني. (مخطوط)

٢ ـ ناظمة الزُّهر، للإمام الشاطبي. (نظم فيه كتاب البيان للداني)

٣ ـ القول الوجيز في فواصل الكتاب العزيز (المسمى: شرح المخللاتي على ناظمة الزُّهر) طبع مجمع الملك فهد رحمه الله.

٤ ـ منظومة في بيان الفواصل المختلف فيها بين أهل العدد، للمتولي.

٥ ـ المحرر الوجيز في عدّ آي الكتاب العزيز، شرح عبد الرزاق موسى.

٦ ـ بشير اليسر في علم الفواصل، للشيخ عبد الفتاح القاضي.

٧ ـ الفرائد الحسان في عدّ آي القرآن، عبد الفتاح القاضي.

٨ ـ نفائس البيان شرح الفرائد الحسان، للشيخ عبد الفتاح القاضي.

٩ ـ مرشد الخلان إلى معرفة عدّ آي القرآن شرح الفرائد الحسان، المكتبة العصرية صيدا.

١٠ ـ النسائج الحسان في عدّ آي القرآن، للشيخ محمد أبو الخير، دار الصحابة للتراث بطنطا. (وفيها جداول مفيدة أجزل الله له الثواب).

هذا ما تيسّر تبيانه لمن أراد الدخول في هذا الباب من العلم، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه الكرام ومن تبعهم بإحسان، والحمد لله رب العالمين.



سبُّ الصحابة هدم للملة

فضيلة الشيخ الدكتور سعد بن عبد الله البريك (*)

مُقدِّمة:

الحمد لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

ليس من المؤمنين بعد الأنبياء والمرسلين أحق بالثناء والمحبة من أصحاب النبي ﷺ ورضي عنهم، الذين بذلوا الأموال والمهج لرفع راية لا إله إلا الله. فهم أحق الناس بكلمة التقوى وأهلها كما قال تعالى: ﴿ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦].

وقد أثنى الله عليهم فقال: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ﴾ [الفتح: ٢٩].

وقال في سورة الفتح أيضاً: ﴿ لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ١٨].

ومن رضي الله عنه لن يسخط عليه أبداً ولا يمكن موته على الكفر.

(*) داعية إسلامي، خطيب وإمام مسجد بالرياض، له عدد من المحاضرات والندوات، زار عدداً كبيراً من دول العالم الإسلامي وأوروبا في الدعوة إلى الله، وله مشاركات في وسائل الإعلام المسموعة والمرئية.

وقال تعالى في سورة التوبة: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [التوبة: ١٠٠].

قال محمد بن زياد: قلت يوماً لمحمد بن كعب القرظي ﷺ: ألا تخبرني عن أصحاب رسول الله ﷺ فيما بينهم ؟ وأردت الفتن. فقال: إن الله قد غفر لجميعهم محسنهم ومسيئهم، وأوجب لهم الجنة في كتابه، فقلت له: في أي موضع أوجب لهم ؟ فقال: سبحان الله ألا تقرأ ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ ﴾ إلى آخر الآية فأوجب الله الجنة لجميع أصحاب النبي ﷺ. وقال: وشَرَطَ في التابعين شريطة وهي أن يتبعوهم في أعمالهم الحسنة دون السيئة. قال حميد: فكأني لم أقرأ هذه الآية قط.[1]

وقال تعالى: ﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ ﴾ [الفتح: ١١٧].

وقال ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلْقَرْحُ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ مِنْهُمْ وَٱتَّقَوْا۟ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٢﴾ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ [آل عمران: ١٧٢ ـ ١٧٣] . ولا خلاف أن الذين استجابوا لله والرسول هم المهاجرون والأنصار الذين حضروا معه ﷺ وقعة أحد، أجابوا في ثاني يومها حين دعاهم إلى الخروج وراء قريش.

وقال تعالى: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ

[1] الرياض النضرة في مناقب العشرة للطبري (٣٢/١).

﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾ [الحشر: ٨ ـ ١٠]. فالذين أخرجوا من ديارهم هم المهاجرون، ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ هم الأنصار.

قال القرطبي: هذه الآية دليل على وجوب محبة الصحابة لأنه جعل لمن بعدهم حظاً في الفيء ما أقاموا على محبتهم وموالاتهم والاستغفار لهم.[١]

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس خير ؟ قال: « **قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تبدر شهادة أحدهم يمينه وتبدر يمينه شهادته** ».[٢]

وقد أخبر ﷺ أن المدَّ من أحدهم أفضل من مثل جبل أحد ذهباً ممَّن بعدهم. عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال النبي ﷺ: « **لا تسبّوا أصحابي فلو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً، ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه** ».[٣]

وعن أبي بريدة عن أبيه ﷺ قال: صلينا المغرب مع رسول الله ﷺ... الحديث، ثم قال: فرفع رأسه إلى السماء وكان كثيراً ممَّا يرفع رأسه إلى السماء فقال: « **النجوم أمنة للسماء، فإذا ذهبت النجوم أتى السماء ما توعد، وأنا أمنة لأصحابي فإذا ذهبتُ أتى أصحابي ما يوعدون، وأصحابي أمنة لأمتي فإذا ذهب أصحابي أتى أمتي ما يوعدون** ».[٤]

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إن الله ﷻ نظر في قلوب العباد فوجد قلب محمد ﷺ خير قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، وابتعثه برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد ﷺ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد، فجعلهم وزراء نبيه ﷺ.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ خير هذه الأمة قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلّها تكلفاً، قوم اختارهم الله ﷻ لصحبة نبيه ونقل دينه.

---

[١] الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٦٥١١/٨).

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٥١) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل أصحاب النبي ﷺ ورضي الله عنهم. ومسلم (٢٥٣٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم.

[٣] أخرجه البخاري (٣٦٧٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ : " لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم (٢٥٤١) في كتاب فضائل الصحابة، باب تحريم سب الصحابة.

[٤] أخرجه مسلم (٢٥٣١) في كتاب فضائل الصحابة، باب بيان أن بقاء النبي ﷺ أمان لأصحابه، وبقاء أصحابه أمان للأمة.

الفصل الأول:

تعريف الصحابي ؟

الصحابي هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً بـه، ومـات عـلى الإسـلام سواء طـالت مجالسته للنبي ﷺ أو قصرت، ومن روى عنه أو لَم يروِ، ومن لَمْ يرَه لعارض كالعمى.

ويخرج بقيد الإيمان من لقيه كافراً ولو أسلم بعد ذلك، إذا لَمْ يجتمع به مرة أخرى.

وخرج بقولنا: « ومات على الإسلام » من لقيه مؤمناً به ثم ارتد ومات على ردّته.

قال البخاري في صحيحه: ومن صحب النبي ﷺ أو رآه من المسلمين فهو من أصحابه.[1]

المبحث الأول:

الصحابة كلهم عدول:

لأنهـم هـم المـخـاطبون بـقـوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وبقوله سبحانه وتعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣] فهم أول وأفضل وأحق من يدخل في هذا الخطاب.

ومن نظر في سيرتهم وتأمل أحوالهم وما جاء من النصوص بشأنهم وما هم عليه من الدعوة إلى الله والجهاد في سبيله علم يقيناً أنهم خير الخلق بعد الأنبياء والمرسلين.

قال ابن حجر رحمه الله: اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه، لأوجـبت الـحال الـتي كانوا عليها، من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين، وقوة الإيمان واليقين، القطع على تعديلهم.[2]

---

[1] فتح الباري (٣/٧).

[2] الإصابة للعسقلاني (١٠ ـ ٩١١).

المبحث الثاني:

أفضل الصحابة:

أفضلهم الخلفاء الراشدون.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: « كنا في زمن النبي ﷺ لا نعدل بأبي بكرٍ أحداً، ثم عمر، ثم عثمان، ثم نترك أصحاب النبي ﷺ **لا نفاضل بينهم** ».[١]

وفي رواية: « كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ، فنخير أبا بكرٍ، ثم عمر بن الخطاب، ثم عثمان بن عفان رضي الله عنه ».[٢]

وعن محمد بن الحنفية قال: قلت لأبي علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أي الناس خير بعد رسول الله ﷺ؟ قال: أبو بكر. قلت: ثم من؟ قال: ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان، قلت: ثم أنت؟ قال: ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين.[٣]

عن سعيد بن جمهان قال: حدثني سفينة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملك بعد ذلك** ». ثم قال لي سفينة: أمسك، خلافة أبي بكر، ثم قال: وخلافة عمر، وخلافة عثمان. ثم قال لي: أمسك خلافة علي فوجدناها ثلاثين سنة.[٤]

١ ـ فأفضلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه. وممَّا ورد في مناقبه وفضله:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خرج رسول الله ﷺ في مرضه الذي مات فيه عاصباً رأسه بخرقة فقعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إنه ليس من الناس أحد أمنَّ علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً، ولكن خلة الإسلام أفضل، سدّوا كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر ».[٥]

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: أتت النبي ﷺ امرأة فكلمته في

---

[١] أخرجه البخاري (٣٦٩٨) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب عثمان بن عفان أبي عمرو القرشي رضي الله عنه.

[٢] أخرجه البخاري (٣٦٥٥) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر رضي الله عنه بعد النبي ﷺ.

[٣] أخرجه البخاري (٣٦٧١) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً".

[٤] أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٥] أخرجه البخاري (٤٦٧) في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد.

شيء فأمرها أن ترجع إليه، قالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك ؟ كأنها تريد الموت، قال: « **إن لم تجديني فأتي أبا بكر** ».[١]

٢ ـ أما عمر رضي الله عنه فممَّا ورد في فضله ومناقبه:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إنه قد كان فيما مضى قبلكم من الأمم محدثون وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب** ».[٢]

وعن عمر رضي الله عنه قال: وافقت ربي في ثلاث: فقلت: يا رسول الله لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلى ؟ فنزلت ﴿ وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ﴾ [البقرة: ١٢٥]. وآية الحجاب، قلت: يا رسول الله لو أمرت نساءك أن يحتجبن، فإنه يكلمهن البر والفاجر، فنزلت آية الحجاب. واجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن ﴿ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ ﴾ [التحريم: ٥] فنزلت هذه الآية.[٣]

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: « **إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه** ».[٤]

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: وُضع عمر بن الخطاب على سريره فتكنفه الناس يدعون ويثنون ويصلون عليه قبل أن يرفع وأنا فيهم، قال: فلم يرعني إلا برجل قد أخذ بمنكبي من ورائي، فالتفت إليه فإذا هو عليٌّ، فترحم على عمر وقال: ما خلفت أحداً أحب إليَّ أن ألقى الله بمثل عمله منك، وأيم الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وذاك أني كنت أكثر أسمع رسول الله ﷺ يقول: « **جئت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر** » فإن كنت لأرجو، أو لأظن،

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٢٠) في كتاب الأحكام، باب الاستخلاف. ومسلم (٢٣٨٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٣٦٤٩) في كتاب أحاديث الأنبياء. ومسلم (٢٣٩٨) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٤٠٢) في كتاب الصلاة، باب ما جاء في القبلة، ومن لم يرَ الإعادة على من سها، فصلى إلى غير القبلة. ومسلم (٢٣٩٩) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضي الله عنه. مختصراً

(٤) أخرجه الترمذي (٣٦٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

أن يجعلك الله معهما.[(١)]

٣ ـ أما القانت ذو النورين، والخائف ذو الهجرتين، والمصلي إلى القبلتين، عثمان بن عفان ﷺ. فممَّا ورد في مناقبه:

قول النبي ﷺ: « **ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة** ».[(٢)]

وعن كعب بن عجرة ﷺ قال: ذكر رسول الله ﷺ فتنة فقربها، فمر رجل متقنع رأسه فقال رسول الله ﷺ: « **هذا يومئذ على الهدى** »، فوثبت فأخذت بضبعي عثمان ثم استقبلت رسول الله ﷺ فقلت: هذا ؟ قال: « **هذا** ».[(٣)]

عن عبد الرحمن بن سمرة ﷺ قال: جاء عثمان إلى النبي ﷺ بألف دينار في كمّه حين جهز جيش العسرة، فينثرها في حجره، قال عبد الرحمن فرأيت النبي ﷺ يقلبها في حجره ويقول: « **ما ضرّ عثمان ما عمل بعد اليوم** » مرتين.[(٤)]

٤ ـ أما علي بن أبي طالب ﷺ ليث بني غالب، أبو تراب الأواه الأواب. فممَّا ورد في مناقبه:

عن زر بن حبيش قال: قال علي: والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي ﷺ إليَّ أن لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق.[(٥)]

عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: « **لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه** ». قال: فبات الناس يدوكون ليلتهم أيُّهم يعطاها، فلمَّا أصبح الناس غدوا على رسول الله ﷺ كلهم يرجو أن يعطاها، فقال: « **أين علي بن أبي طالب ؟** » فقالوا: يشتكي عينيه يا رسول الله. قال: « **فأرسلوا إليه فأتوني به** ». فلما جاء بصق في عينيه ودعا له، فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع فأعطاه الراية... إلى أن قال: « **فوالله لأن**

---

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٧) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: "لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم (٢٣٨٩) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٠١) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل عثمان بن عفان ﷺ.

(٣) أخرجه ابن ماجه (١١١)، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٧٠١)، وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

(٥) أخرجه مسلم (٧٨) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حبّ الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته.

يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم ».[١]

قال معاوية بن أبي سفيان لضرار بن حمزة: صف لي علياً. فقال: أو تعفيني ؟ قال: بل تصفه. فقال: أو تعفيني ؟ قال: لا أعفيك. قال: أما إن لابدّ فإنه كان بعيد المدى، شديد القوى، يقول فصلاً، ويحكم عدلاً، يتفجر العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويستأنس بالليل وظلمته، كان والله غزير الدمعة، طويل الفكرة، يقلب كفه ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما خشن، ومن الطعام ما جشب، كان والله كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، ويأتينا إذا دعوناه، ونحن والله مع تقريبه لنا وقربه منا لا نكلمه هيبة له، ولا نبتديه تعظيماً له، فإن تبسم فعن مثل اللؤلؤ المنظوم، يعظم أهل الدين ويحب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف من عدله، فأشهد بالله لرأيته في بعض مواقفه وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضاً على لحيته يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، وكأني أسمعه وهو يقول: يا دنيا ألي تعرضت أم لي تشوفت؟ هيهات غري غيري، قد بتتك ثلاثاً فلا رجعة لي فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق. قال: فذرفت دموع معاوية فما يملكها وهو ينشفها بكمه وقد اختنق القوم بالبكاء. ثم قال معاوية: رحم الله أبا الحسن كان والله كذلك، فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها فلا ترفأ عبرتها ولا يسكن حزنها.[٢]

وبعد الراشدين الأربعة يأتي بقية العشرة ثم أهل بدر وأهل الشجرة ثم عامة الصحابة ممّن أسلموا قبل الفتح وقاتلوا ثم من أسلموا بعد الفتح وقاتلوا.

وبالجملة نتقرب إلى الله بحبهم، ومن له قرابة لرسول الله ﷺ فمحبته أكثر للقرابة والمنزلة دون طعن أو نقص في بقية أصحابه.

وإذا أحببنا غير الأفضل أكثر من محبة الأفضل لأمر دنيوي كقرابة وإحسان ونحوه فلا تناقض في ذلك ولا امتناع.

---

[١] أخرجه البخاري (٣٧٠١) في كتاب فضائل الصحابة، باب مناقب علي بن أبي طالب رضي الله عنه. ومسلم (٢٤٠٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[٢] التبصرة لابن الجوزي (١/ ٤٤٢، ٤٤٥).

ويكفي لبيان فضلهم أن الله ﷻ جعلهم شهداء على الناس يوم القيامة كما في الحديث الصحيح الذي رواه البخاري عن أبي سعيد الخدري ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: « **يدعى نوح يوم القيامة فيقول: لبيك وسعديك يا رب. فيقول: هل بلغت ؟ فيقول: نعم. فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير. فيقول: من يشهد لك ؟ فيقول: محمد وأمته، فيشهدون أنه قد بلغ،** ﴿ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾. **فذلك قوله جلَّ ذكره:** ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾ [البقرة: ١٤٣] ».[1] والوسط : العدل.

بعد هذا الثناء والتزكية من الله ورسوله للصحابة ﭫ، هل يعقل أن يسبهم أحد؟.

قيل لليهود: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب موسى، وقيل للنصارى: من خير أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب عيسى، وقيل لبعض من ينتسبون إلى الإسلام: من شر أهل ملتكم ؟ قالوا: أصحاب مُحمَّد ﷺ، ولَمْ يستثنوا منهم إلا القليل.

إن سبَّ الصديق طعن في اختيار الله ﷻ له صاحباً وصديقاً لرسول الله ﷺ في الدنيا والآخرة.

فالله تعالى جعل جسده بجوار الجسد الشريف حتى تتم الصحبة كذلك في البرزخ.

وسبُّه طعن وتكذيب لقول النبي ﷺ: « **لو كنت متخذاً من أمتي خليلاً، لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكن أخي وصاحبي** ».[2]

من الكفر من يعتقد أن الله أقرَّ الظالمين ومكَّن الكافرين من دينه وشرعه وكتابه الذي تكفل سبحانه وتعالى بحفظه فقال: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر: ٩].

---

[1] أخرجه البخاري (٤٤٨٧) في كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ ﴾.

[2] أخرجه البخاري (٣٦٥٦) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: " لو كنت متخذاً خليلاً". ومسلم (٢٣٨٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ؓ.

ومن الكفر الاعتقاد بأن الله أثنى ومدح شرار الخلق وجعل سفلة الناس خير أمة أخرجت للناس، وأظلم الناس أصحاب وأحباب خير البشر.

أليس من الضلال والكفر الزعم بأن الرسول ﷺ تزوج بنات المنافقين والكافرين وأن عائشة وحفصة رضي الله عنهما ظلتا في عصمته مع كفرهما حتى مات الرسول ﷺ في حُجرة عائشة رضي الله عنها على صدرها بين سَحْرها ونَحرها، كل هذا وهي وأبوها كافرين منافقين.

أين هم من رسول الله ﷺ الذي غضب لغضب أبي بكر حتى جثا أبو بكر على ركبتيه وقال: أنا كنت أظلم يا رسول الله، ومع ذلك قال ﷺ: « **هل أنتم تاركون لي صاحبي؟** ».[1]

إن تكفير الصحابة رضي الله عنهم هدم للإسلام كله، وإبطال لشريعته لأن الصحابة رضي الله عنهم هم الذين نقلوا لنا كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ، ولم يكتفِ البعض بذلك، بل طعنوا في كتاب الله: يشككون في صحته ويسودون المطولات في إثبات تحريفه، وبلغت بهم الجرأة أن وضع أحدهم كتاب (فصل الخطاب في إثبات تحريف كتاب رب الأرباب).

بعض ما ورد في خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما:

عن حذيفة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « **اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر** ».[2]

وقال ﷺ: « **سدّوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر** ».[3]

قال العلماء فيه إشارة إلى خلافة الصديق رضي الله عنه، لأن الخليفة يحتاج إلى القرب من المسجد لشدة احتياج الناس إلى ملازمته له للصلاة بهم وغيرها.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله ﷺ في مرضه: « **ادعي لي أبا بكر أباك، وأخاك، حتى أكتب كتاباً فإني أخاف أن يتمنى متمنٍ ويقول قائل: أنا**

---

[1] أخرجه البخاري (٤٦٤٠) في كتاب التفسير، باب ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[الأعراف: ١٥٨].

[2] أخرجه الترمذي (٣٦٦٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[3] أخرجه البخاري (٤٦٧) في كتاب الصلاة، باب الخوخة والممر في المسجد. وهو جزء من حديث.

أولى، ويأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر».[١]

بل ورد ما هو أصرح من ذلك، فقد روى أبو داود بسند صحيح أن النبي ﷺ قال لعائشة في مرضه الذي مات فيه: « **ادعي لي عبد الرحمن بن أبي بكر حتى أكتب لأبي بكر كتاباً لا يختلف عليه أحد بعدي** »، ثم قال: « **دعيه معاذ الله أن يختلف المؤمنون في أبي بكر** ».[٢]

الفصل الثاني:

حكم سبِّ الصحابة ﷺ ؟

ينقسم سبُّ الصحابة إلى أنواع، ولكل نوع من السبِّ حكم خاص به.

والسبُّ: هو الكلام الذي يقصد به الانتقاص والاستخفاف، وهو ما يفهم من السبِّ بعقول الناس على اختلاف اعتقاداتهم، كاللعن والتقبيح ونحوهما.[٣]

وسب الصحابة رضوان الله عليهم دركات بعضها شر من بعض، فمنه سبٌّ بالكفر أو الفسق، ومنه سبٌّ بأمور دنيوية كالبخل، وضعف الرأي.

وهذا السبُّ إمَّا أن يكون لجميعهم أو أكثرهم، أو يكون لبعضهم أو لفرد منهم، وهذا الفرد إما أن يكون ممَّن تواترت النصوص بفضله أو دون ذلك. وهذه تفاصيل وبيان أحكام كل قسم.

المبحث الأول:

من سبَّ الصحابة بالكفر والردة أو الفسق، جميعهم أو بعضهم:

لا شك في كفر من قال بذلك لأمور من أهمها:

- **إن مضمون هذه المقالة أن نقلة الكتاب والسنة كفار أو فساق**، وبذلك يقع الشك في القرآن والأحاديث، لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول.

- إن في هذا **تكذيباً لما نص عليه القرآن** من الرضا عنهم والثناء عليهم « فالعلم

---

(١) أخرجه البخاري (٥٦٦٦) في كتاب المرضى، باب ما رخص للمريض أن يقول: إني وجع. ومسلم (٢٣٨٧) في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي بكر الصديق ﷺ.

(٢) انظر السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله تعالى (٦٩٠).

(٣) الصارم المسلول (٥٦١).

الحاصل من نصوص القرآن والأحاديث الدالة على فضلهم قطعي ».[١] ومن أنكر ما هو قطعي فقد كفر.

ـ **إن في ذلك إيذاء له ﷺ**، لأنهم أصحابه وخاصته، وسبُّ خاصته والطعن فيهم، يؤذيه ولا شك. وأذى الرسول ﷺ كفر كما هو مقرر.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية مبيناً حكم هذا القسم: « وأما من جاوز ذلك إلى أن زعم أنهم ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر نفساً، أو أنهم فسقوا عامتهم، فهذا لا ريب أيضاً في كفره، لأنه مكذب لما نصَّ القرآن في غير موضع، من الرضا عنهم والثناء عليهم، بل من يشك في كفر مثل هذا فإن كفره متعين.. إلى أن قال: وكفر هذا مما يعلم بالاضطرار من دين الإسلام ».[٢]

وقال الهيثمي رحمه الله: « ثم الكلام ـ أي الخلاف ـ إنما هو في سبِّ بعضهم، أما سبُّ جميعهم فلا شك في أنه كفر ».[٣]

ومع وضوح الأدلة الكلية السابقة، ذكر بعض العلماء أدلة أخرى تفصيلية، منها:

أولاً: قوله تعالى في سورة الفتح: ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ ﴾ إلى قوله: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ﴾ [الفتح: ٢٩] استنبط الإمام مالك رحمه الله من هذه الآية كفر من يبغضون الصحابة، لأن الصحابة يغيظونهم، ومن غاظه الصحابة فهو كافر، ووافقه الشافعي وغيره.[٤]

ثانياً: ثبت من حديث أنس رضي الله عنه عند الشيخين أن النبي ﷺ قال: « **آية الإيمان حب الأنصار وآية النفاق بغض الأنصار** »[٥]، وفي رواية: « **لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق** ».[٦] ولمسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ: « **لا يبغض الأنصار رجل يؤمن بالله**

[١] الرد على الرافضة (ص١٩).
[٢] الصارم المسلول (٥٨٦ ـ ٥٨٧).
[٣] الصواعق المحرقة (٣٧٩).
[٤] الصواعق المحرقة (ص٣١٧)، وتفسير ابن كثير (٤ / ٢٠٤).
[٥] أخرجه البخاري (١٧) في كتاب الإيمان، باب علامة الإيمان حب الأنصار. ومسلم (٧٤) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته.
[٦] مسلم (٧٥) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضي الله عنه من الإيمان وعلاماته.

واليوم الآخر »[(١)]، فمن سبَّهم فقد زاد على بغضهم، فيجب أن يكون منافقاً لا يؤمن بالله ولا اليوم الآخر.[(٢)]

ثالثاً: ما ثبت عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ، أنه ضرب بالدرة من فَضَّله على أبي بكر ﷺ، ثم قال عمر ﷺ: « أبو بكر كان خير الناس بعد رسول الله ﷺ في كذا وكذا »، ثم قال: « من قال غير هذا أقمنا عليه ما نقيم على المفتري ».[(٣)]

وكذلك قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ: « لا يفضلني أحد على أبي بكر وعمر إلا جلدته حد المفتري ».[(٤)]

فإذا كان الخليفتان الراشدان عمر وعلي رضي الله عنهما يجلدان حد المفتري من يفضل علياً ﷺ على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، أو يفضل عمرَ ﷺ على أبي بكر ﷺ، مع أن مجرد التفضيل ليس فيه سبٌّ ولا عيب، علم أن عقوبة السبِّ عندهما فوق هذا بكثير.[(٥)]

المبحث الثاني: من سبَّ بعضهم سبّاً يطعن في دينهم:

كأن يتهمهم بالكفر أو الفسق، وكانوا ممن تواترت النصوص بفضله، فذلك كفر على الصحيح، لأن في هذا تكذيباً لأمر متواتر.

روى أبو محمد بن أبي زيد عن سحنون، قال: « من قال في أبي بكر وعمر وعثمان وعلي، أنهم كانوا على ضلال وكفر، قتل، ومن شتم غيرهم من الصحابة بمثل ذلك نكل النكال الشديد ».[(٦)]

وقال هشام بن عمار: « سمعت مالكاً يقول: من سبَّ أبا بكر وعمر، قتل، ومن سبَّ عائشة رضي الله عنها قتل، لأن الله تعالى يقول فيها: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُوا۟ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] فمن رماها فقد خالف القرآن،

---

(١) مسلم (٧٦) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي ﷺ من الإيمان وعلاماته.

(٢) الصارم المسلول (ص٥٨١).

(٣) فضائل الصحابة للإمام أحمد (١ / ٣٠٠)، وصححه ابن تيمية في الصارم (ص٥٨٥).

(٤) فضائل الصحابة (١ / ٨٣). والسنة لابن أبي عاصم (٢ / ٥٧٥)، وحسن الألباني إسناده.

(٥) الصارم المسلول (ص ٥٨٦).

(٦) الشفا للقاضي عياض (٢/ ١١٠٩).

ومــن خــالف القرآن قتل ».[١]

قال الهيثمي عند كلامه عن حكم سبِّ أبي بكر ﷺ: « فيتلخص أن سبَّ أبي بكر ﷺ كفر عند الحنفية، وعلى أحد الوجهين عند الشافعية، ومشهور مذهب مالك أنه يجب به الجلد، فليس بكفر. نعم قد يخرج عنه ما مرَّ عنه في الخوارج أنه كفر، فتكون المسألة عنده على حالين: إن اقتصر على السبِّ من غير تكفير لم يكفره وإلا كفره ».[٢]

وقال أيضاً: « وأما تكفير أبي بكر ﷺ ونظرائه ممن شهد لهم النبي ﷺ بالجنة، فلم يتكلم فيها أصحاب الشافعي، والذي أراه الكفر فيها قطعاً ».[٣]

وقال الخرشي: « من رمى عائشة بما برأها الله منه... أو أنكر صحبة أبي بكر، أو إسلام العشرة، أو إسلام جميع الصحابة، أو كفَّر الأربعة، أو واحداً منهم، كفر ».[٤]

وقال البغدادي: « وقالوا بتكفير كل من أكفر واحداً من العشرة الذين شهد لهم النبي ﷺ بالجنة. وقالوا بموالاة جميع أزواج رسول الله ﷺ، وأكفروا من أكفرهن، أو أكفر بعضهن ».[٥]

والمسألة فيها خلاف مشهور، ولعل الــراجح ما تقدم، وأما القائلون بعدم تكفير من هذه حــاله، فقد أجمعوا على أنه فاسق، لارتكابه كبيرة مــن كبائر الذنوب، يستحق عليه التعزير والتأديب، على حسب منزلة الصحابي ونوعية السبِّ.

وهذا بيان ذلك:

قــال الهيثمي: « أجــمع القــائلون بــعدم تكفير من سبَّ الصحابة على أنهم فساق ».[٦]

وقال ابن تيمية: « قال إبراهيم النخعي: كان يقال: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر، وكذلك قال أبو إسحاق السبيعي: شتم أبي بكر وعمر من الكبائر التي قال

---

[١] الصواعق المحرقة (ص٣٨٤).
[٢] الصواعق (٣٨٦).
[٣] الصواعق (٣٨٥).
[٤] الخرشي على مختصر خليل (٨ / ٧٤).
[٥] الفرق بين الفرق (ص ٣٦٠).
[٦] الصواعق المحرقة (ص٣٨٣).

الله تعالى فيها: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ ﴾ [النساء: ٣١]. وإذا كان شتمهم بهذه المثابة، فأقل ما فيه التعزير، لأنه مشروع في كل معصية ليس فيها حد أو كفارة. وهذا مما لا نعلم فيه خلافاً بين أهل الفقه والعلم من أصحاب رسول الله ﷺ والتابعين بإحسان، وسائر أهل السنة والجماعة، فإنهم مجمعون على أن الواجب الثناء عليهم والاستغفار لهم والترحم عليهم... وعقوبة من أساء فيهم القول ».(١)

وقال القاضي عياض: « وسبُّ أحدهم من المعاصي الكبائر، ومذهبنا ومذهب الجمهور أنه يعزَّر ولا يقتل ».(٢)

وقال عبد الملك بن حبيب: « من غلا في بغض عثمان والبراء منه أدب أدباً شديداً، وإن زاد إلى بغض أبي بكر وعمر، فالعقوبة عليه أشد، ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ».(٣)

فلا يقتصر في سابِّ أبي بكر ﷺ على الجلد الذي يقتصر عليه في غيره، لأن ذلك الجلد لمجرد حق الصحبة، فإذا انضاف إلى الصحبة غيرها مما يقتضي الاحترام، لنصرة الدين وجماعة المسلمين وما حصل على يده من الفتوح وخلافة النبي ﷺ وغير ذلك، كان كل واحدة من هذه الأمور تقتضي مزيد حق موجب لزيادة العقوبة عند الاجتراء عليه.(٤)

وعقوبة التعزير المشار إليها لا خيار للإمام فيها، بل يجب عليه فعل ذلك.

قال الإمام أحمد رحمه الله: « لا يجوز لأحد أن يذكر شيئاً من مساوئهم، ولا يطعن على أحد منهم بعيب ولا بنقص، فمن فعل ذلك وجب على السلطان تأديبه وعقوبته، ليس له أن يعفو عنه، بل يعاقبه ويستتيبه، فإن تاب قبل منه، وإن ثبت عاد عليه بالعقوبة، وخلده الحبس حتى يموت أو يرجع ».(٥)

ولما كان سبُّهم المذكور من كبائر الذنوب عند بعض العلماء فحكم فاعله

---

(١) اللالكائي (٨ / ١٢٦٢ ـ ١٢٦٦).

(٢) مسلم بشرح النووي (١٦ / ٩٣).

(٣) الشفا (٢ / ١١٠٨).

(٤) الصواعق المحرقة (٣٨٧).

(٥) طبقات الحنابلة (١ /٢٤)، والصارم المسلول (٥٦٨).

حكم أهل الكبائر من جهة كفر مستحلها.

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، مبيناً حكم استحلال سبِّ الصحابة: « ومن خص بعضهم بالسب، فإن كان ممن تواتر النقل في فضله وكماله كالخلفاء، فإن اعتقد أحقية سبِّه أو إباحته فقد كفر، لتكذيبه ما ثبت قطعاً عن رسول الله ﷺ، ومكذبه كافر، وإن سبَّه من غير اعتقاد أحقية سبِّه أو إباحته فقد فسق، لأن سباب المسلم فسوق، وقد حكم البعض فيمن سبَّ الشيخين بالكفر مطلقاً، والله أعلم ».[1]

وقال القاضي أبو يعلى تعليقاً على قول الإمام أحمد رحمه الله حين سئل عن شتم الصحابة، فقال: « ما أراه على الإسلام »، قال أبو يعلى: « فيحتمل أن يحمل قوله: ما أراه على الإسلام، إذا استحل سبَّهم، فإنه يكفر بلا خلاف، ويحمل إسقاط القتل على من لم يستحل ذلك مع اعتقاده تحريمه، كمن يأتي بالمعاصي... ».[2]

يتلخص مما سبق فيمن سبَّ بعضهم سبّاً يطعن في دينه وعدالته، وكان ممن تواترت النصوص بفضله، أنه يكفر ـ على الراجح ـ لتكذيبه أمراً متواتراً.

أما من لم يكفره من العلماء، فأجمعوا على أنه من أهل الكبائر، ويستحق التعزير والتأديب، ولا يجوز للإمام أن يعفو عنه، ويزاد في العقوبة على حسب منزلة الصحابي. ولا يكفر عندهم إلا إذا استحل السبَّ.

أما من زاد على الاستحلال، كأن يتعبد الله ﷻ بالسبِّ والشتم، فكفر مثل هذا مما لا خلاف فيه، ونصوص العلماء السابقة واضحة في مثل ذلك.

المبحث الثالث:

١ ـ من سبَّ صحابياً لم يتواتر النقل بفضله:

بيّنا فيما سبق رجحان تكفير من سبَّ صحابياً تواترت النصوص بفضله من جهة دينه، أما من لم تتواتر النصوص بفضله، فقول جمهور العلماء بعدم كفر من سبَّه، وذلك لعدم إنكاره معلوماً من الدين بالضرورة، إلا أن يسبَّه من حيث الصحبة.

---

[1] الرد على الرافضة (ص١٩).

[2] الصارم المسلول (ص ٥٧١ وما قبلها).

قال الإمام محمد بن عبد الوهاب: « وإن كان ممن لم يتواتر النقل بفضله وكماله، فالظاهر أن سابَّه فاسق، إلا أن يسبَّه من حيث صحبته لرسول الله ﷺ فإنه يكفر ».[١]

٢ ـ سب بعضهم سباً لا يطعن في دينهم وعدالتهم:

فاعل ذلك يستحق التعزير والتأديب. قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وأما إن سبَّهم سبّاً لا يقدح في عدالتهم ولا في دينهم، مثل وصف بعضهم بالبخل أو الجبن أو قلة العلم أو عدم الزهد ونحو ذلك، فهو الذي يستحق التأديب والتعزير، ولا يحكم بكفره بمجرد ذلك، وعلى هذا يحمل كلام من لم يكفرهم من العلماء ».[٢]

وذكر أبو يعلى من الأمثلة على ذلك اتهامهم، كقلة المعرفة بالسياسة.[٣]

ويشبه ذلك اتهامهم بضعف الرأي، وضعف الشخصية، والغفلة، وحب الدنيا، ونحو ذلك.

وهذا النوع من الطعن تطفح به كتب التاريخ، وكذلك الدراسات المعاصرة لبعض المنسوبين لأهل السنة، باسم الموضوعية والمنهج العلمي. وللمستشرقين أثر في غالب الدراسات التي من هذا النوع.

٣ ـ وقفة مع المنهج الموضوعي:

ولعل من المناسب هنا أن نقف وقفة قصيرة جـــداً، نبين فيها فساد هذا المنهج، وخطورة تطبيقه على تاريخ الصحابة.

والمنهج الموضوعي، عـــند الغربيين يعني أن يبحث المـــوضوع بحثاً عقلياً مجرداً، بعيداً عن التصورات الدينية.[٤]

فنقول رداً على ذلك:

أولاً: المسلم لا يمكن أن يتجرد من عقيدته بأي حال من الأحوال، إلا أن يكون

---

[١] الرد على الرافضة (ص١٩).

[٢] الصارم المسلول (ص ٥٨٦).

[٣] الصارم المسلول (ص ٥٧١).

[٤] منهج كتابة التاريخ للعلياني (ص ١٣٨).

كافراً بها.

ثانياً: كذلك بالنسبة للتاريخ الإسلامي، إذا ثبتت الحوادث في ميزان نقد الرواية، فبأي منهج نفهمها ونفسرها ؟ إذا لم نفسرها بالمنهج الإسلامي، فلا بد أن نختار منهجاً آخر. فنقع في الانحراف من حيث لا نعلم.

وبناءً على ذلك، يجب أن نحذر من تطبيق هذا المنهج على تاريخ الصحابة. ويجب أن نعلم أيضاً أن ما يسمى بالنقد العلمي أو الموضوعية لتاريخ الصحابة، هو السبُّ الوارد في كتب أهل البدع، وفي كتب الأخبار، وتسميته بالمنهج العلمي لا يخرجه من حقيقته التي عرف بها عند أهل السنة، وأيضاً تسميته بذلك لا تعلي من قيمته، كما لا يعلي من قيمته أن يردده كتاب مشهورون.

وإنما كل ما فعله المحْدِثون أنهم أحيوا هذا السبّ الذي أماته أهل السنة عندما كانت الدولة دولتهم.

المبحث الرابع: حكم سبِّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها:

من سبَّ أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه، فقد أجمع العلماء على أنه يكفر.

قال القاضي أبو يعلى: « من قذف عائشة رضي الله عنها بما برأها الله منه كفر بلا خلاف ».

وقد حكى الإجماع على هذا غير واحد من الأئمة.

فروي عن مالك: من سبَّ عائشة قتل. قيل له: لم ؟ قال: من رماها فقد خالف القرآن.[1]

قال ابن شعبان في روايته عن مالك: « لأن الله تعالى يقول: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾ [النور: ١٧] فمن عاد فقد كفر ».[2]

والأدلة على كفر من رمى أم المؤمنين صريحة وظاهرة الدلالة، منها:

أولاً: ما استدل به الإمام مالك، أن في هذا تكذيباً للقرآن الذي شهد ببراءتها،

---

[1] الصارم المسلول (ص ٥٦٦).

[2] الشفا (٢ / ١١٠٩).

وتكذيب ما جاء به القرآن كفر. قال ابن كثير: « وقد أجمع العلماء رحمهم الله قاطبة على أن من سبَّها بعد هذا ورماها به بعد هذا الذي ذكر في هذه الآية، فإنه يكفر، لأنه معاند للقرآن ».(١)

وقال ابن حزم تعليقاً على قول الإمام مالك السابق: « قول مالك هاهنا صحيح، وهي ردة تامة، وتكذيب لله تعالى في قطعه ببراءتها ».(٢)

ثانياً: أن فيه إيذاء وتنقيصاً لرسول الله ﷺ، من عدة وجوه، دلّ عليها القرآن الكريم، فمن ذلك:

أن ابن عباس رضي الله عنهما فرّق بين قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ثُمَّ لَمۡ يَأۡتُواْ بِأَرۡبَعَةِ شُهَدَآءَ ﴾ [النور: ٤]، وبين قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ ٱلۡمُحۡصَنَٰتِ ٱلۡغَٰفِلَٰتِ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ لُعِنُواْ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾ [النور: ٢٣]، فقال عند تفسير الآية الثانية: « هذه في شأن عائشة وأزواج النبي ﷺ خاصة، وهي مبهمة ليس فيها توبة ».(٣)

وبيّن ﷺ أن هذه الآية إنما نزلت فيمن قذف عائشة وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن، لما في قذفهن من الطعن على رسول الله ﷺ وعيبه، فإن قذف المرأة أذى لزوجها، كما هو أذى لابنها، لأنه نسبة له إلى الدياثة وإظهار لفساد فراشه، وإنَّ زنا امرأته يؤذيه أذىً عظيماً ولعل ما يلحق بعض الناس من العار والخزي بقذف أهله أعظم مما يلحقه لو كان هو المقذوف.(٤)

وكذلك فإيذاء رسول الله ﷺ كفر بالإجماع.

قال القرطبي عند قوله تعالى: ﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ [النور: ١٧]، « يعني في عائشة، لأن مثله لا يكون إلا نظير القول في المقول بعينه، أو فيمن كان في مرتبته من أزواج النبي ﷺ، لما في ذلك من أذاة رسول الله ﷺ في عرضه وأهله، وذلك كفر من فاعله ».(٥)

---

(١) تفسير ابن كثير (٣ / ٢٧٦).

(٢) المحلى (١١ / ١٥).

(٣) انظر ابن جرير (١٨ / ٨٣)، وعنه ابن كثير (٣ / ٢٧٧).

(٤) الصارم المسلول (ص ٤٥). والقرطبي (١٢ / ١٣٩).

(٥) القرطبي (١٢ / ١٣٦)، عن ابن عربي في أحكام القرآن (٣ / ١٣٥٥ ـ ١٣٥٦).

ومما يدل على أن قذفهن أذى للنبي ﷺ، ما أخرجه الشيخان في صحيحيهما في حديث الإفك عن عائشة رضي الله عنها قالت: فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبد الله بن أبي ابن سلول، فقالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: « **يا معشر المسلمين من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في أهل بيتي..** ».[١]

فقوله: « **من يعذرني** » أي من ينصفني ويقيم عذري إذا انتصفت منه لما بلغني من أذاه في أهل بيتي. فثبت أنه ﷺ قد تأذى بذلك تأذياً استعذر منه.

وقال سعد رضي الله عنه وهو من المؤمنين الذين لم تأخذهم حمية: « يا رسول الله، أنا أعذرك منه، إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا ففعلنا أمرك »[٢]، ولم ينكر النبي ﷺ على سعد استئماره في ضرب أعناقهم.[٣]

قال الشيخ محمد بن عبد الوهاب: « ومن يقذف الطيبة الطاهرة أم المؤمنين زوجة رسول رب العالمين ﷺ في الدنيا والآخرة، لما صح ذلك عنه، فهو من ضرب عبد الله بن أبي ابن سلول رأس المنافقين. ولسان حال رسول الله ﷺ يقول: يا معشر المسلمين من يعذرني فيمن أذاني في أهلي. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ۝٥٧ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ۝٥٨ ﴾ [الأحزاب: ٥٧ ـ ٥٨]. فأين أنصار دينه ليقولوا له: نحن نعذرك يا رسول الله ».[٤]

كما أن الطعن بها رضي الله عنها فيه تنقيص برسول الله ﷺ من جانب آخر، حيث قال عز وجل: ﴿ ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ ﴾ [النور: ٢٦].

قال ابن كثير: « أي ما كان الله ليجعل عائشة زوجة لرسول الله ﷺ إلا وهي طيبة، لأنه أطيب من كل طيب من البشر، ولو كانت خبيثة لما صلحت له شرعاً ولا قدراً، ولهذا قال تعالى: ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ﴾ [النور: ٢٦] أي عمّا يقوله أهل الإفك

---

[١] أخرجه البخاري (٤٧٥٠) في كتاب التفسير، باب قوله: ﴿ لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ۝١٢ لَّوْلَا جَآءُو عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ ۚ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ۝١٣ ﴾ [النور: ١٢ ـ ١٣].

[٢] المصدر السابق.

[٣] الصارم المسلول (ص ٤٧).

[٤] الرد عل الرافضة (٢٥ ـ ٢٦).

والعدوان ».[١]

حكم سبِّ بقية أمهات المؤمنين رضي الله عنهن:

أكثر العلماء على كفر فاعل ذلك، لأن المقذوفة زوجة رسول الله ﷺ، والله تعالى إنما غضب لها، لأنها زوجته ﷺ، فهي وغيرها منهن سواء.[٢]

وكذلك فيه تنقيصاً وأذى لرسول الله ﷺ بقذف حليلته.[٣]

وقد بيّنا ذلك عند كلامنا عن حكم قذف أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

أما إن سبَّ أمهات المؤمنين سبّاً غير ذلك فحكمهن حكم سائر الصحابة على التفصيل السابق.

الفصل الثالث: لوازم سب الصحابة:

المبحث الأول: يترتب على القول بكفر وارتداد معظم الصحابة أو فسقهم إلا نفراً يسيراً عدة أمور، منها:

أولاً: الشك في القرآن الكريم والأحاديث النبوية، وذلك لأن الطعن في النقلة طعن في المنقول، إذ كيف نثق بكتاب نقله إلينا الفسقة والمرتدون ـ والعياذ بالله ـ ولذلك صرح بعض أهل الضلال والبدع ممن يسبُّ الصحابة بتحريف الصحابة للقرآن، والبعض أخفى ذلك.

وكذلك الأمر بالنسبة للأحاديث النبوية، فإذا اتهم الصحابة رضوان الله عليهم في عدالتهم، صارت الأسانيد مرسلة مقطوعة لا حجة فيها، ومع ذلك يزعم بعض هؤلاء الإيمان بالقرآن.

فنقول لهم: يلزم من الإيمان بالقرآن الإيمان بما فيه، وقد علمت أن الذي فيه أنهم خير الأمم، وأن الله لا يخزيهم، وأنه رضي عنهم... الخ، فمن لم يصدق ذلك فيهم، فهو مكذب لما في القرآن، ناقض لدعواه.

ـ ثانياً: هذا القول يقتضي أن هذه الأمة ـ والعياذ بالله ـ شر أمة أخرجت للناس،

---

[١] ابن كثير (٣ / ٢٧٨).

[٢] البداية والنهاية (٨ / ٩٥).

[٣] الشفا (٢ / ١١١٣). وراجع أيضاً الصواعق المحرقة (ص ٣٨٧).

وسابقي هذه الأمة شرارها، وخيرها القرن الأول كان عامتهم كفاراً أو فساقاً وإنهم شر القرون.[١]

ـ ثالثاً: يلزم من هذا القول، أحد أمرين: إما **نسبة الجهل إلى الله** ـ تعالى عما يصفون ـ أو **العبث** في هذه النصوص التي أثنى فيها على الصحابة.

فإن كان الله ﷻ ـ تعالى عن قولهم ـ غير عالم بأنهم سيكفرون، ومع ذلك أثنى عليهم ووعدهم الحسنى فهو جهل، والجهل عليه تعالى محال.

وإن كان الله ﷻ عالماً بأنهم سيكفرون، فيكون وعده لهم بالحسنى ورضاه عنهم عبث، والعبث في حقه تعالى محال.[٢]

ويتبع ذلك الطعن في حكمته ﷻ، حيث اختارهم واصطفاهم لصحبة نبيه ﷺ، فجاهدوا معه وآزروه ونصروه واتخذهم أصهاراً له، حيث زوج ابنتيه ذا النورين عثمان ﷺ، وتزوج ابنتي الصديق وعمر رضي الله عنهما، فكيف يختار لنبيه ﷺ أنصاراً وأصهاراً مع علمه بأنهم سيكفرون ؟!.

ـ رابعاً: يلزم من سبهم **أن الرسول ﷺ فشل في تربيتهم وتوجيههم**، فلقد بذل رسول الله ﷺ جهوداً كبيرة في تربية الصحابة على مدى ثلاثة وعشرين عاماً، ليكونوا مجتمعاً مثالياً في خلقه وتضحياته وزهده وورعه، فكان ﷺ أعظم مربٍّ في التاريخ.

إن جماعة تدعي الانتماء إلى الإسلام ونبي الإسلام، تقدم لهذا المجتمع صورة معاكسة، تهدم الجهود التي قام بها النبي ﷺ في مجال التربية والتوجيه، وتزعم أنه أخفق إخفاقاً لم يواجهه أي مصلح أو مربٍّ آخر، كما كان الشأن مع رسول الله ﷺ. (صرح بعض من تولى كبر تلكم المزاعم والتهم والضلالات أن رسول الله ﷺ لم ينجح، وأن الذي ينجح في ذلك المهدي الغائب).

وبعضهم صرح أن الرسول ﷺ لم ينجح إلا في تربية ثلاثة أو أربعة فقط ـ وفقاً لبعض الروايات ـ فهؤلاء ظلوا متمسكين بالإسلام بعد وفاته ﷺ، أما غيرهم فقد قطعوا صلتهم بالإسلام فور وفاته ﷺ.

وهذا الزعم يؤدي إلى **اليأس من إصلاح البشرية**، وعدم الثقة في المنهج الإسلامي

---

[١] الصارم (٥٨٧).

[٢] انظر إتحاف ذوي النجابة لمحمد بن العربي التباني (ص٧٥).

وقدرته على التربية وتهذيب الأخلاق، وإلى الشك في نبوة محمد ﷺ، وذلك أن الدين الذي لم يستطع أن يقدم للعالم عدداً معتبراً من نماذج عملية ناجحة بناءة، ومجتمعاً مثالياً في أيام الداعي وحامل رسالته الأول، فكيف يستطيع أتباعه ذلك بعد مضي وقت طويل على عهد النبوة ؟!

وإذا كان المؤمنون بهذه الدعوة لم يستطيعوا البقاء على الجادة القويمة، ولم يعودوا أوفياء لنبيهم ﷺ بعد انتقاله إلى الرفيق الأعلى، فلم يبقَ على الصراط المستقيم الذي ترك عليه النبي ﷺ أتباعه إلا أربعة فقط، فكيف نسلم أن هذا الدين يصلح لتزكية النفوس وبناء الأخلاق ؟ وأنه يستطيع أن ينقذ الإنسان من الهمجية والشقاء، ويرفعه إلى قمة الإنسانية ؟

وفي سبِّ الصحابة شك في نبوته ﷺ، فربما يقال: لو أن النبي ﷺ كان **صادقاً في نبوته**، لكانت تعاليمه ذات تأثير، ووجد هناك من آمن به من صميم القلب، ووجد من بين العدد الهائل ممن آمنوا به بضع المئات ثبتوا على الإيمان، فإن كان أصحابه سوى بضعة رجال منهم منافقين ومرتدين فمن ثبت على الإسلام ؟! ومن انتفع بالرسول ﷺ ؟ وكيف يكون رحمة للعالمين ؟.[(١)]

المبحث الثاني: لوازم في حق السابِّ:

تيقظ السلف الصالح رضوان الله عليهم لخطورة الطعن في الصحابة ﷺ وسبِّهم، وحذروا من الطاعنين ومقاصدهم، وذلك لعلمهم بما يؤدي إليه ذلك السبُّ من لوازم باطلة تناقض أصول الدين، فقال بعضهم كلمات قليلة، لكنها جامعة:

ـ قال الإمام مالك رحمه الله عن الذين يسبُّون الصحابة: « إنما هؤلاء أقوام أرادوا **القدح في النبي** ﷺ، فلم يمكنهم ذلك، فقدحوا في أصحابه، حتى يقال رجل سوء ولو كان رجلاً صالحاً لكان أصحابه صالحون ».[(٢)]

ـ وقال الإمام أحمد رحمه الله: « إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من الصحابة بسوء

---

(١) انظر صورتان متضادتان للشيخ أبي الحسن الندوي (ص ١٣ ـ ٤٥ ـ ٥٨ ـ ٩٩).

(٢) رسالة في سبِّ الصحابة، عن الصارم المسلول (ص٥٨٠).

فاتهمه على الإسلام ».[١]

ـ وقال أبو زرعة الرازي رحمه الله: « فإذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنة أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا **ليبطلوا الكتاب والسنة**، والجرح بهم أولى وهم زنادقة ».[٢]

ـ وقال الإمام أبو نعيم رحمه الله: « فلا يتتبع هفوات أصحاب رسول الله ﷺ وزللهم ويحفظ عليهم ما يكون منهم حال الغضب والموجدة إلا **مفتون القلب في دينه** ».[٣]

وقال أيضاً: « لا يبسط لسانه فيهم إلا من سوء طويته في النبي ﷺ وصحابته والإسلام والمسلمين ».[٤]

وتحذير العلماء هنا عام يشمل جميع الصحابة، وتأمل قول إمام أهل السنة: « يذكر أحداً من الصحابة بسوء »، وقول أبي زرعة: « ينتقص أحداً »، فحذروا ممَّن ينتقص مجرد انتقاص أو ذكر بسوء، وذلك دون الشتم أو التكفير، ثم في واحد منهم وليس جميعهم، فماذا يقال فيمن سبَّ أغلبهم ؟!.

المبحث الثالث: وجوب الإمساك عما شجر بين الصحابة رضي الله عنهم:

قال ﷺ: « **إذا ذكر أصحابي فأمسكوا، وإذا ذكر النجوم فأمسكوا، وإذا ذكر القدر فأمسكوا** ».[٥]

فمن منهج أهل السنة والجماعة الإمساك عن ذكر هفوات الصحابة وتتبع زلاتهم وعدم الخوض فيما شجر بينهم.

قال أبو نعيم رحمه الله: « فالإمساك عن ذكر أصحاب رسول الله ﷺ، وذكر زللهم، ونشر محاسنهم ومناقبهم، وصرف أمورهم إلى أجمل الوجوه، من أمارات المؤمنين

---

[١] البداية والنهاية (٨ / ١٤٢).

[٢] الكفاية للخطيب البغدادي (٩٧).

[٣] الإمامة لأبي نعيم (٣٤٤).

[٤] الإمامة لأبي نعيم (٣٧٦).

[٥] أخرجه الطبراني في الكبير (٢ / ٧٨ / ٢). وأبو نعيم في الحلية (٤ / ١٠٨)، وقواه الألباني بطرقه وشواهده ـ السلسلة الصحيحة (١ / ٣٤).

المتبعين لهم بإحسان، الذين مدحهم الله ﷻ بقوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال أيضاً: « لم يأمرهم بالإمساك عن ذكر محاسنهم وفضائلهم، وإنما أمروا بالإمساك عن ذكر أفعالهم وما يفرط منهم في ثورة الغضب وعارض الوجدة ».[١]

فالإمساك المشار إليه في الحديث إمساك مخصوص يقصد منه عدم الخوض فيما وقع بينهم من الحروب والخلافات على سبيل التوسع وتتبع التفصيلات ونشر ذلك بين العامة، أو التعرض لهم بالتنقص لفئة والانتصار لأخرى.[٢]

ونحن لم نؤمر بما سبق وإنما أمرنا بالاستغفار لهم ومحبتهم ونشر محاسنهم وفضائلهم، وإذا ظهر مبتدع يقدح فيهم بالباطل فلابد من الذبِّ عنهم، وذكر ما يبطل حجته بعلم وعدل.[٣]

وهذا مما نحتاجه في زماننا، حيث ابتليت الأمة في بعض جامعاتها ومدارسها بمناهج ـ يزعم أصحابها الموضوعية والعلمية ـ تخوض فيما شجر بين الصحابة بالباطل دون التأدب بالآداب التي أمر بها الله ورسوله ﷺ ونصَّ عليها أهل العلم.

وإن مما يؤسف له أن هذه العدوى وصلت إلى بعض من يتصدرون للحديث في تاريخ الإسلام عبر القنوات وغيرها، حتى إن بعضهم يجمع الغثَّ والسمين من الروايات حول الفتنة التي وقعت بين الصحابة، ثم يبني أحكامه دون الاسترشاد بأقوال الأئمة الأعلام وتحقيقاتهم.

الخاتمة :

هذا ما يسر الله جمعه في هذه العجالة تعليماً للجاهل وتذكيراً للغافل بفضل الصحابة ﷺ، سيّما وأننا في زمن أطلّ فيه أهل البدع برؤوسهم وباحوا بما كانوا يكتمونه من سبّ أصحاب النبي ﷺ والطعن في بعض أزواجه أمهات المؤمنين رضي الله عنهن.

---

[١] الإمامة (٣٤٧).

[٢] منهج كتابة التاريخ الإسلامي لمحمد بن صامل (٢٢٧).

[٣] منهاج السنة (٦ / ٢٥٤).

وقد اغترَّ كثير من الناس بشبههم وضلالاتهم حتى إني سمعت يوماً في صحن الحرم المكي أحد الشباب يشتم عـمر ﷺ فانتحيت به جانباً وسألته عـن سبب سبِّه لعمر ﷺ، وتبين لي أنه تأثر بما يسمعه عبر الفضائيات من طـعن وسبٍّ في أصحـاب النبي ﷺ فالله المستعان وعليه التكلان.

أسأل الله تعالى أن ينفع بهذا البحث وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم وأن يذبّ عن وجوهنا النار يوم القيامة إنه ولي ذلك والقادر عليه، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه والحمد لله رب العالمين.





تعريف البرية بمنهج المدرسة السلفية
(أهل الحديث والسنّة)

فضيلة الشيخ الدكتور سعد الدين بن محمد الكبي ۞

مُقَدِّمَة:

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، ينفون عن الدين تأويل الجاهلين، وتحريف الغالين، وانتحال المبطلين، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويبصِّرون بطريق الهداية أهلَ العمى، أما بعد:

فإن المدرسة السلفية هي دعوة الإسلام كما أُنزل على رسول الله ﷺ، وفهمها الصحابة ﵃، وسار عليها التابعون رحمهم الله أجمعين، الذين يمثلون الطائفة المنصورة أهل السنة والجماعة، وقد اشتُهرت هذه المدرسة بمدرسة أهل الحديث والسنّة، لتعظيمهم حديث رسول الله ﷺ، واجتماعهم على السنّة في زمن خروج الفِرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: « **ألا إن من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثِنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة** ».[1] ولمّا سئل ﷺ عن الفرقة الناجية قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** ».[2]

۞ مدير معهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية في عكار شمال لبنان، والمدير المسؤول عن مجلة البحث العلمي الإسلامي، له عدة مؤلفات منها: المعاملات المالية المعاصرة في ضوء الإسلام ـ رسالة ماجستير ـ والتعليقات الزهية على الدرر البهية للإمام الشوكاني، وشرح منظومة القواعد الفقهية للسعدي، وغيرها.

(1) رواه أبو داود (٤٥٩٧) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن أبي داود.

(2) رواه الترمذي (٢٦٤١) وحسنه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي.

وصدق رسول الله ﷺ، فقد افترقت الأمة ـ بمناهجها ـ بعد نبيها ﷺ وجيل الصحابة والتابعين، فظهر الخوارج الذين قتلوا عثمان ﵁، وخرجوا على عليّ ﵁ فكفّروه وكفّروا الصحابة ﵃.

وقابل هؤلاء فرقة أخرجوا العمل عن مسمّى الإيمان وجعلوا إيمان الزاني وشارب الخمر مرتكب الكبائر كإيمان الصائم القائم الذي لا يفتر عن العبادة، وهم المرجئة.

ومنها: فرق خاضوا في صفات الله ﷻ على جري العقول، وقاسوا الله بعقولهم، وأبَوا أن يقتصروا في معرفة الإله على ما وصف به نفسه في كتابه الكريم، ووصفه به رسوله ﷺ في سنته الشريفة.

ومنها: فرق ابتدعت طرقاً في العبادة والذكر، كالرقص، وضرب الدف والطبل مع ما يسمّى ـ بالنوبة ـ وضرب الشيش الذي يعتبرونه من الكرامات، فضلاً عن اعتقادهم في بعض مشايخهم أنهم يعلمون الغيب، وينفعون ويضرون، فيستعينون ويستغيثون بهم وإن كانوا أمواتاً.

كما ظهرت فرق أخرى يطول الحديث بذكرها، الأمر الذي شوَّه جمال الإسلام، وأظهره على أنه دين طقوس وخرافة.

أسباب الافتراق:

وتعود أسباب الافتراق في الجملة إلى الجهل، واتباع الهوى، واتباع المتشابه من النصوص، والخوض في علم الكلام المذموم الذي عابه السلف ونهوا عن الاشتغال به، والعمل بالأحاديث الضعيفة والروايات المكذوبة على رسول الله ﷺ.

الواجب إزاء هذا الافتراق:

إزاء هذا الافتراق المخيف، كان من الواجب التمسك بنصوص الكتاب والسنّة، والرجوع إلى منهج السلف الصالح المنقول في كتب السنن والآثار والعقائد المروية بالسند المتصل إلى السلف الصالح، وتصفية العلوم الإسلامية من المناهج الدخيلة، ونبذ التقليد الأعمى الذي تسبَّب بإغلاق باب الاجتهاد، وتقديم فهم السلف الصالح من الصحابة والتابعين للنصوص القرآنية والنبوية، لأنهم أعلم الناس بمضمون الرسالة ومدلولات النصوص.

وصف العلماء والدعاة إلى هذا المنهج:

ولما قامت طائفة من العلماء والدعاة، للدعوة إلى نبذ التفرق في المناهج، وترك الابتداع في الدين، والتمسك بما كان عليه السلف الصالح، وُصف هؤلاء العلماء بأنهم سلفيّون.

ولما التبست هذه التسمية أو النسبة إلى السلف، ـ بل المنهج السلفي ـ على كثير من الناس، فظنوه حزباً جديداً، أو مذهباً وليداً، كان من الواجب بيان المراد بالمنهج السلفي، والتعريف به، وذلك من خلال التعريف بالمصطلحات العلمية والألقاب المنهجية، مع بيان منهج السلف الصالح في العقيدة والعبادة.

ولا أبالغ إذا قلت: إن الموضوع يحتاج في تجليته وإيضاحه على وجه الكمال والتمام إلى صفحات لا يتسع لها هذا البحث، بل لا تتسع لها صفحات مجلة البحث العلمي، لذلك آثرت الاختصار قدر الإمكان، والله المسؤول أن ينفع به فإنه ولي ذلك والقادر عليه.

الفصل الأول:

التعريف بالاسم والمصطلحات العلمية.

المبحث الأول: التعريف اللغوي والاصطلاحي.

المبحث الثاني: ألقاب ذات صلة (أهل الحديث ـ أهل السنة).

ـ **المبحث الأول**: التعريف اللغوي والاصطلاحي.

أولاً: التعريف اللغوي: السلفية في اللغة مشتقة من كلمة سلف، ومعنى سلف في اللغة، الشيء إذا مضى.

قال في القاموس المحيط: « والشيء سَلَفاً ـ محرَّكة ـ: مضى، وفلان سلفاً وسلوفاً: تقدم، والسَّلَف محرّكة: السلم، اسم من الإسلاف، والقرض الذي لا منفعة فيه للمقرض، وعلى المقترض ردُّه كما أخذه، وكل عملٍ صالحٍ قدمته، أو فرطٍ فرط لك، وكل من تقدمك من آبائك وقرابتك.

وبالجمع: سلاّف وأسلاف، ومنه: عبد الرحمن بن عبد الله السلفي المحدِّث،

وآخرون منسوبون إلى السلف ».[١]

ثانياً: التعريف الاصطلاحي:

وفي الاصطلاح الشرعي فإن كلمة السلف يراد بها أصحاب القرون الثلاثة الخيرية ـ غير من رُمي ببدعةٍ ـ التي زكَّاها رسول الله ﷺ بقوله: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته** ».[٢] وأصحاب القرون الثلاثة هم: الصحابة ﷺ، والتابعون لهم بإحسان، وأتباع التابعين.

١ ـ **تعريف الصحابي**: والصحابي عند المحدثين: هو من لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على الإسلام.[٣]

ويدخل في تعريف الصحابة ﷺ عند أهل السنة والجماعة: أهل البيت الذين لقوا النبي ﷺ ـ على التعريف السابق ـ .

وقد اتفق أهل السنة على أن الجميع عدول، ولم يخالف في ذلك إلا شذوذ من المبتدعة، وقد ذكر الخطيب في الكفاية فصلاً نفيساً في ذلك فقال: « عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم، وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقوله: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] وقوله: ﴿ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ ﴾ [الفتح: ١٨] وقوله: ﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ [التوبة: ١٠٠] وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الأنفال: ٦٤] وقوله: ﴿ لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨] وفي آيات كثيرة

---

[١] القاموس المحيط للفيروز آبادي (١٠٦٠) مؤسسة الرسالة بيروت. وانظر أيضاً: مختار الصحاح للإمام محمد بن أبي بكر الرازي (٢٠٣) دار اليمامة الطبعة الأولى.

[٢] رواه البخاري (٢٦٥٢) في كتاب الشهادات، باب لا يشهد على شهادة جور إذا أُشهد. ومسلم (٢٥٣٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب فضل الصحابة ﷺ، ثم الذين يلونهم.

[٣] لمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح (٢٤) المكتب الإسلامي ـ بيروت.

يطول ذكرها، وأحاديث شهيرة يكثر تعدادها، وجميع ذلك يقتضي القطع بتعديلهم، ولا يحتاج أحد منهم مع تعديل الله له إلى تعديل أحدٍ من الخلق، على أنه لو لم يرد من الله ورسوله ﷺ فيهم شيء ممّا ذكرناه، لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام، وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء، والمناصحة في الدين والإيمان واليقين، القطع على تعديلهم، والاعتقاد لنزاهتهم، وأنهم كافّة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدَّلين الذين يجيئون من بعدهم، هذا مذهب كافة العلماء ومن يعتمد قوله، ثم روى بسنده إلى أبي زرعة الرازي قال: إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، وإنما أدّى إلينا ذلك كله الصحابة ﵃، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة ».[1]

٢ ـ **تعريف التابعي**: والتابعي هو من صحب الصحابي، وقيل: من لقيه وروى عنه وإن لم يصحبه، وقد ذهب إلى القول الثاني: أبو عمرو بن الصلاح، والإمام النووي، وغيرهما.[2]

٣ ـ **تعريف أتباع التابعين**: واحدهم تابع التابعين، وهو من لقي التابعين وأخذ عنهم.

فالسلف إذن مصطلح يطلق على الأئمة المتقدمين من أصحاب القرون الثلاثة الأولى المباركة من الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين المذكورين في حديث رسول الله ﷺ: « **خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته** ».[3]

على من يطلق لفظ السلف بالمصطلح العلمي المنهجي:

ولما كان السبب الذي أوجب تزكية السلف ومدحهم، منهجُهُم العلمي، وما كانوا عليه من التمسك بالسنّة والاجتماع عليها، صار كل من يتمسك بمنهجهم العلمي البارز والمنقول إلينا في كتب السنن والآثار والعقائد، يسمّى سلفياً بالمعنى العلمي

---

[1] الإصابة في تمييز الصحابة، للحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١/٩ ـ ١٠).

[2] انظر: التقريب والتيسير للنووي (٩٤) دار الكتاب العربي ـ بيروت. ولمحات في أصول الحديث، د. محمد أديب صالح (٦٢).

[3] سبق تخريجه.

المنهجي، وإن باعدت بينه وبينهم الأماكن والأزمان، وكل من خالفهم فليس منهم، وإن عاش بين أظهرهم وجمعه بهم نفس المكان والزمان.[1]

حكم الانتساب إلى السلف الصالح:

إن الانتساب إلى السلف الصالح ﷺ، انتساب إلى الطائفة التي جعل الله إجماعهم حجة، قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾ [البقرة: ١٤٣] أي: عدلاً خياراً في كل الأمور لتنكير قوله: ﴿ وَسَطًا ﴾، كما رتَّب الله على مخالفتهم صلي جهنَّم بقوله: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِۦ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ١١٥]، وقد دلَّ على حجية قولهم، قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ ﴾ [التوبة: ١٠٠] فدلَّ على أن لهم قولاً متبوعاً.

وهذا بخلاف الانتساب إلى الأشخاص، أو العادات، أو الجماعات، أو الأحزاب، فإنه انتساب إلى من يخطئ ويصيب، وليس اتفاقهم حجة، والانتساب إلى من يخطئ خطأ، وإلى من جعل الشارع إجماعهم حجة ليس بخطأ.

بعضُ من أُطلق عليه لقب (سلفي) من أهل العلم:

وقد أُطلق لقب (السلفي) على بعض أهل العلم لالتزامهم بمنهج السلف الصالح، وتمييزهم عن غيرهم ممن خالف منهج السلف أو تلبّس ببدعة، ومن هؤلاء:

١ ـ **الإمام الحافظ محدّث إقليم فارس، أبو يوسف يعقوب بن سفيان ابن جوان الفارسي الفَسَوي**، قال عنه الحافظ الذهبي: « وما علمت يعقوب الفَسَوي إلاّ سَلَفياً، وقد صنَّف كتاباً صغيراً في السنَّة ».[2]

٢ ـ **الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني المحدّث**، فقد علّق الذهبي على قول الدارقطني ـ ما شيء أبغض إليّ من علم الكلام، فقال ـ أي الذهبي ـ : « لم يدخل الرجل أبداً في علم الكلام، ولا الجدال، ولا خاض في ذلك، بل كان سلفياً ».[3]

---

[1] انظر: أهل السنة والجماعة (معالم الانطلاقة الكبرى)، جمع محمد عبد الهادي المصري (٥٢) دار طيبة ـ الرياض ١٩٨٨م.

[2] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٨٣/١٣).

[3] سير أعلام النبلاء (٤٥٧/١٦).

٣ ـ **الإمام الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة،** قال عنه الذهبي: « كان يعرف المذهب والعربية والعَروض، سلفياً، أثرياً ».[١]

٤ ـ **الشيخ مجد الدين عيسى ابن الإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي،** فقد قال عنه الذهبي: « وكان ثقةً ثبتاً، ذكياً، سلفياً ».[٢]

٥ ـ **الحافظ أبو عمرو عثمان بن الصلاح الشهرزوري،** قال عنه الذهبي: « كان ذا جلالةٍ عجيبة، ووقار وهيبة، وفصاحة، وعلم نافع، وكان متين الديانة، سلفي الجملة ».[٣]

٦ ـ **محمد بن القاسم بن سفيان المصري المالكي الفقيه،** فقد قال عنه الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « كان رأس المالكية بمصر وأحفظهم للمذهب، مع المتقنين فنَّ التاريخ والأدب مع الدين والورع، وله أحكام القرآن، ومناقب مالك والرواة عنه، والمناسك، والواهي في الفقه، وغير ذلك، وكان سلفي المذهب ».[٤]

وبالجملة، فإن العلماء والأعلام حفَّاظ السنة والأثر، فقهاء الملة وناصرو السنّة سلفيّون في معتقدهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وابن كثير، والبغوي، وغيرهم كثير.

بل قال الذهبي عند كلامه على الشروط التي يحتاج إليها الحافظ: « فالذي يحتاج إليه الحافظ أن يكون تقياً، ذكياً، نحوياً لغوياً، زكياً حيياً، سَلَفياً ».[٥]

المبحث الثاني: ألقاب ذات صلة:

أولاً: مدرسة أهل الحديث: والدعوة السلفية هي المدرسة الإصلاحية التي اشتُهرت بمدرسة أهل الحديث، لأنهم يعظمون حديث رسول ﷺ ويعنون به رواية ودراية، ويبذلون جهدهم في اتباع السنَّة واجتناب البدعة كما قال أبو عثمان الصابوني: « ويقتدون بالسلف الصالحين من أئمة الدين وعلماء المسلمين، ويتمسكون بما كانوا به

---

(١) نفس المصدر (٢٠/٤٢٦).
(٢) نفس المصدر (٢٣/١١٨).
(٣) نفس المصدر (٢٣/١٤٢).
(٤) لسان الميزان للحافظ ابن حجر العسقلاني (٥/٣٤٨).
(٥) سير أعلام النبلاء (١٣/٣٨٠).

متمسكين من الدين المتين والحق المبين ».[١]

سبب التسمية بأهل الحديث:

قال الشهرستاني في سبب تسميتهم بأهل الحديث: « وإنما سُمُّوا بأصحاب الحديث، لأن عنايتهم بتحصيل الأحاديث، ونقل الأخبار، وبناء الأحكام على النصوص، ولا يرجعون إلى القياس الجلي والخفي ما وجدوا خبراً أو أثراً ».[٢]

أبرز علماء مدرسة أهل الحديث:

لقد آلت زعامة مدرسة أهل الحديث إلى الأئمة: مالك، والشافعي، وأحمد، وسفيان الثوري، ويحيى بن سعيد القطان، ووكيع بن الجراح، وسفيان بن عيينة، وشعبة ابن الحجاج، وعبد الرحمن بن مهدي، والأوزاعي، والليث بن سعد، وعلي بن المديني، ويحيى بن معين، وأبو بكر بن أبي شيبة، وأبو زرعة الرازي، وابن جرير الطبري، والبخاري، ومسلم، والنسائي، وأبو داود، والترمذي، وابن ماجه، وابن قتيبة الدينوري.[٣]

أقوال الأئمة في اتباع الحديث ولزوم أهله:

وقد توافرت أقوال الأئمة في اتباع الحديث ولزوم أهله، فقد قال البويطي: سمعت الشافعي يقول: « عليكم بأصحاب الحديث، فإنهم أكثر الناس صواباً. وقال: إذا رأيت رجلاً من أصحاب الحديث فكأنما رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله ﷺ، جزاهم الله خيراً، حفظوا لنا الأصل فلهم علينا الفضل ».[٤]

ومن شعر الإمام الشافعي رحمه الله في هذا المعنى:

كل العلوم سوى القرآن مشغلة   إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال حدثنا   وما سوى ذاك وسواس الشياطين[٥]

ومنهم الإمام أحمد رحمه الله، حيث أنشد يقول:

دين النبي محمدٍ آثار   نعم المطية للفتى الأخبار

---

[١] عقيدة السلف أصحاب الحديث، لأبي عثمان إسماعيل بن عبد الرحمن الصابوني (١١٤).

[٢] الملل والنحل للشهرستاني (٢٠٦/١).

[٣] انظر: الملل والنحل (٢٠٦/١) وعقيدة السلف أصحاب الحديث (١٢١ ـ ١٢٢) والمدخل إلى دراسة المدارس والمذاهب الفقهية، د. عمر سليمان الأشقر (١٧ ـ ١٨).

[٤] البداية والنهاية لابن كثير الدمشقي (٢٥٤/١٠).

[٥] نفس المصدر.

لا تعدُ عن علم الحديث وأهله فـــالرأي ليـــل والحديث نهار
ولربما جهل الفتى سبل الهدى والـــشمس طـــالعة لـها أنوار[(١)]

ومنهم الإمام مالك رحمه الله، حيث سأله رجل عن مسألة، فقال: قال رسول الله ﷺ كذا وكذا، فقال الرجل: أرأيت ؟ ـ يريد رأي مالك ـ فقال مالك: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].[(٢)]

ثانياً: أهل السنة والجماعة:

وكما أطلق على السلف الصالح ومن سار على طريقتهم في العلم والعمل لقب أهل الحديث لتمسكهم بحديث رسول الله ﷺ والعمل به، فقد أُطلق عليهم أيضاً لقب أهل السنة والجماعة، لأنهم تمسّكوا بالسنة واجتمعوا عليها في عصر ظهور الفرق التي أخبر عنها رسول الله ﷺ بقوله: « **ألا إنَّ من قبلكم من أهل الكتاب افترقوا على ثِنتين وسبعين ملة، وإن هذه الملة ستفترق على ثلاث وسبعين، ثِنتان وسبعون في النار، وواحدة في الجنة، وهي الجماعة** ».[(٣)] وفي رواية قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** ».[(٤)]

تعريف لفظ السنة والجماعة:

السنة في اللغة: مشتقة من سنَّ يسنُّ سنّاً فهو مسنون. والسنة: الطريقة والسيرة محمودة كانت أم مذمومة، ومنه قوله ﷺ: « **لتتبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع** » الحديث.[(٥)]

السنّة في الاصطلاح: يختلف تعريف السنة في الاصطلاح عند العلماء بحسب استعمال أهل الاختصاص لها، وسأوجز بيان ذلك بما يلي:

١ ـ **السنة في استعمال المحدثين**: هي كل ما أُثر عن النبي ﷺ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو صفة خَلْقِية أو خُلُقِية، أو سيرة، سواء كان ذلك قبل البعثة أو بعدها.

٢ ـ **السنة في اصطلاح الأصوليين**: ـ والمراد بالأصوليين: علماء أصول الفقه ـ هي

---

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم الجوزية (٥٥/١)، قال ابن القيم: أسانيد هذه الآثار في غاية الصحة.
(٢) شرح السنة للإمام البغوي (٢١٦/١).
(٣) سبق تخريجه.
(٤) سبق تخريجه.
(٥) أخرجه البخاري (٣٤٥٦) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل. ومسلم (٢٦٦٩) في كتاب العلم، باب اتباع سنن اليهود والنصارى.

كل ما صدر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير مما يصلح أن يكون دليلاً لحكم شرعي.

٣ ـ **السنة في اصطلاح الفقهاء**: ما ثبت عن النبي ﷺ ولم يكن من باب الفرض أو الواجب، وهي هنا بمعنى المستحب.[١]

٤ ـ **السنة في اصطلاح علماء العقيدة**: وتطلق السنة في اصطلاح علماء العقيدة على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه ﷺ اعتقاداً ومنهجاً، ويقابل السنة بهذا المعنى: البدعة. وفي الحديث: « **فإنه من يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، فتمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعةٍ وكل بدعةٍ ضلالة** ».[٢] ومنه قول الزهري رحمه الله: « الاعتصام بالسنة نجاة ».[٣]

إضافة السنة إلى لفظ (أهل):

فإذا أضيفت السنة إلى لفظ أهل، فيكون المراد: القوم المنتسبون إلى السنة، المتمسكون بها، المجتمعون عليها، ولذلك أطلق عليهم لقب: أهل السنة والجماعة.

ومنه قول الحسن البصري رحمه الله: « يا أهل السنة ترفقوا رحمكم الله، فإنكم من أقل الناس ».[٤] وقول سفيان الثوري رحمه الله: « استوصوا بأهل السنة خيراً فإنهم غرباء ».[٥] ومنه قول أيوب السختياني رحمه الله: « إن من سعادة الحدث[٦]، والأعجمي، أن يوفقهما الله لعالم من أهل السنة ».[٧]

معنى الجماعة لغة: والجماعة في اللغة: العدد الكثير من الناس.

واصطلاحاً: وردت عدة أقوال في تفسير الجماعة.

---

[١] انظر: السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي، د. مصطفى السباعي (٤٧ ـ ٤٨).

[٢] رواه أحمد (١٢٦/٤) وأبو داود (٤٦٠٧) في كتاب السنة، باب في لزوم السنة. وابن ماجه (٤٢) باب اتباع سنة الخلفاء الراشدين المهديين. وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٩٣٧).

[٣] اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٦٢/١).

[٤] نفس المصدر (٦٣/١).

[٥] نفس المصدر (٧١/١).

[٦] أي: صغير السن.

[٧] اللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٦٦/١).

القول الأول: السواد الأعظم، وهذا التفسير ورد في بعض الروايات وهي ضعيفة، رواها ابن أبي عاصم في السنَّة[١]، واللالكائي في شرح أصول الاعتقاد.[٢]

القول الثاني: هم جماعة أهل العلم والأثر والحديث،كما قال الإمام أحمد رحمه اللّه عن الجماعة: « إن لم تكن أهل الحديث فلا أدري من هي ».[٣] وقال البخاري رحمه اللّه: « هم أهل العلم ».[٤]

القول الثالث: هم أصحاب رسول اللّه ﷺ، لقوله ﷺ عندما سئل عن الفرقة الناجية، من هم ؟ قال: « **ما أنا عليه وأصحابي** ».[٥]

خلاصة القول في المفهوم الشرعي لمعنى الجماعة: أن لفظ الجماعة يدور حول معانٍ متقاربة، تنتهي إلى أن الجماعة هم: أهل السنة والاتباع، وهم الفرقة الناجية، وهم الصحابة والتابعون لهم بإحسان من أئمة الهدى والعلم والفقه، ومن اقتدى بهم واتبع سبيلهم من المؤمنين إلى قيام الساعة.[٦]

سبب التسمية بأهل السنة: وسبب التسمية بأهل السنة ظهور البدع والأهواء، فميّز علماء السنة أهل السنة عن أهل البدعة والأهواء.

تاريخ ظهور التسمية بأهل السنة: وقد برز مصطلح أهل السنة في مطلع القرن الثاني عند ظهور البدع والأهواء. قال ابن سيرين رحمه اللّه: « لم يكونوا يسألون عن الإسناد، فلما وقعت الفتنة، قالوا: سمّوا لنا رجالكم، فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم، وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم ».[٧]

مستند هذه التسمية: ومستند هذه التسمية، أمر النبي ﷺ بالتمسك بالسنة،

---

[١] كتاب السنَّة لابن أبي عاصم رقم (٨٠) وضعفه الألباني رحمه اللّه تعالى.

[٢] شرح أصول الاعتقاد (١١٥/١) وفي سنده أبو غالب وهو ضعيف، وداود بن أبي سُلَيك. قال عنه الحافظ في التقريب: مقبول.

[٣] الرسالة المستطرفة ص (١٦٥).

[٤] ذكره البخاري في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾. وما أمر النبي ﷺ بلزوم الجماعة، وهم أهل العلم.

[٥] سبق تخريجه.

[٦] للأستاذ الدكتور ناصر بن عبد الكريم العقل حفظه اللّه، رسالة ماتعة في مفهوم أهل السنة الجماعة موسومة باسم: (مفهوم أهل السنة والجماعة عند أهل السنة والجماعة)، مطبوعة بدار الوطن ـ الرياض ـ .

[٧] رواه مسلم في المقدمة، باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات وأن جرح الرواة بما هو فيهم جائز بل واجب.

ولزوم الجماعة عند الافتراق، وذلك في قوله ﷺ: « **عليكم بسنتي** ».[١] وقوله: « **عليكم بالجماعة** ».[٢]

الفصل الثاني: المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة (في العقيدة).

تعريف العقيدة:

العقيدة في اللغة: مأخوذة من مادة عَقَدَ، يقال في لغة العرب: عقد الحبل والبيع والعهد يعقده: إذا شدَّه.[٣]

والعقيدة: الحكم الذي لا يقبل الشك فيه لدى معتقده.[٤]

والعقيدة الإسلامية اصطلاحاً: هي الإيمان الجازم بربوبية الله تعالى وألوهيته وأسمائه وصفاته، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشرّه، وسائر ما ثبت من أمور الغيب، وأصول الدين وما أجمع عليه السلف الصالح.[٥]

عقيدة السلف الصالح أصحاب الحديث:

لما كانت الغاية التي خلق الله لها الإنس والجنَّ عبادةَ الله تعالى وحده ونفي الشريك عنه، سمّي هذا الدين دينَ التوحيد. فالتوحيد « أعظم فريضة فرضها الله على العباد علماً وعملاً، ولأجله أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، وبه تكفَّر الذنوب وتستوجب الجنة، وينجى من النار ».[٦]

اهتمام المدرسة السلفية بالتوحيد:

لذلك فقد اهتم السلف الصالح بقضية التوحيد أكثر من اهتمامهم بأي قضيةٍ أخرى، وعلى هذا كان مدار القرآن المكي حين كان ينزل على رسول الله ﷺ في العهد الأول للإسلام، يثبت هذه الحقيقة في نفوس الصحابة ﷺ، وينزع من صدورهم كل قضية أو فهم أو اعتقاد يتصل بالشرك.

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] رواه الترمذي (٢١٦٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٣] القاموس المحيط (٣٨٣). ومختار الصحاح (٢٨٨).

[٤] المعجم الوسيط (٦١٤) جماعة من المؤلفين: أحمد الزيات - إبراهيم مصطفى - حامد عبد القادر - محمد علي النجار.

[٥] الوجيز في عقيدة السلف الصالح، عبد الله بن عبد الحميد الأثري (٢٤) طبع مجمع الملك فهد بالمدينة المنورة، توزيع وزارة الشؤون الإسلامية بالرياض.

[٦] حاشية ثلاثة الأصول للشيخ عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلي (٢٣).

وهذه هي العقيدة السلفية، إفراد الله بالعبادة، وسد الذرائع والوسائل المفضية إلى الشرك الذي سمّاه الله ظلماً، ولذلك لما نزل قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ ﴾ [الأنعام: ٨٢] قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: شقَّ ذلك على المسلمين، فقالوا: يا رسول الله أيُّنا لا يظلم نفسه ؟ قال: « **ليس ذلك إنما هو الشرك ألم تسمعوا ما قال لقمان لابنه وهو يعظه:** ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ ».[١]

قال البغوي رحمه الله: « سمّي الشرك ظلماً لأن أصل الظلم: هو وضع الشيء في غير موضعه، ومن أشرك فقد وضع الربوبية في غير موضعها، وهو أعظم الظلم ».[٢]

قال الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله: « من تأمل نصوص الكتاب والسنة في هذا الباب، رأى نصوصاً كثيرة تحثُّ على القيام بكل ما يقوي التوحيد وينميه ويغذيه، من الحثِّ على الإنابة إلى الله وانحصاره في تعلق القلب بالله رغبةً ورهبةً، ـ إلى أن قال ـ ونهى عن أقوال وأفعال يُخشى أن يُتوصل بها إلى الشرك، كل ذلك حمايةً للتوحيد ».[٣]

والمدرسة السلفية تعتبر التوحيد الهدف الأسمى الذي أُرسلت لتحقيقه الرسل، وأُنزلت به الكتب، فهو الغاية من الوجود لقوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وهو حق الله على العبيد، لحديث معاذ رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: « **يا معاذ، أتدري ما حق الله على العباد ؟** ». قال: الله ورسوله أعلم، قال: « **أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً. أتدري ما حقهم عليه ؟** ». قال: الله ورسوله أعلم. قال: « **أن لا يعذبهم** ».[٤]

ولما كان التوحيد هو الغاية الذي خُلقت له البشرية، وهو حق الله على العباد،

---

[١] رواه البخاري (٣٤٢٩) في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ﴾. ومسلم (١٢٤) في كتاب الإيمان، باب صدق الإيمان وإخلاصه.

[٢] شرح السنة للبغوي (١/٨٠).

[٣] القول السديد في مقاصد التوحيد (٧٥ ـ ٧٦) طبع الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية.

[٤] رواه البخاري (٧٣٧٣) في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم (٣٠) في كتاب الإيمان، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً.

كانت الرسل تبعث ابتداءً بالدعوة إليه، ثم الشرائع بعد ذلك مبنيةً عليه، فمن استجاب للتوحيد وتخلَّص من الشرك وشوائبه، عـندئذ يـخاطب بالتكاليف، وقد أجمع العلماء على أن أول شرط من شرائط وجـوب العبادات، الإسـلام، والذي لا يكون موحداً لا يكون مسلماً، فالتكاليف الشرعية مع وجود التوحيد تكون مقبولة، وبـدون الـتوحيد مردودة. فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما بعث النبي ﷺ معاذ بن جبل إلى نحو أهل اليمن، قال له: « **إنك تقدم على قومٍ من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى، فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في يومهم وليلتهم...** » الحديث.[1]

فأمره أن يدعوهم أولاً إلى التوحيد وتصحيح العقيدة، فإن هم أطاعوا لذلك، عندها أمره بمطالبتهم بتكاليف الإسلام التي لا تقوم ولا تقبل قبل تصحيح العقيدة.

النبي ﷺ يهتم بالتوحيد قبل التجمع وأخذ الولاء:

ويزداد الأمر وضوحاً بمنهج النبي ﷺ واهتمامه بالتوحيد والاعتقاد قبل التجمع وأخذ الولاء، من حديث عقبة بن عامر ﷺ: أن رسول الله ﷺ أقبل إليه رهط، فبايع تسعةً وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسـول الله، بايعت تسعةً وتـركت هذا، قال: « **إن عليه تميمة** ». فأدخل يده فقطعها فبايعه، وقال: « **من علَّق تميمةً فقد أشرك** ».[2]

التوحيد أول دعوة الرسل:

والتوحيد أول دعوة الرسل، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل: ٣٦] فقال عن نوح ﷺ: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [المؤمنون: ٢٣] وقـال عـن هـود ﷺ: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾ [هود: ٥٠] وقال عـن صـالح ﷺ: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود: ٦١] وقال عن

---

[1] رواه البخاري (٧٣٧٢) في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى. ومسلم (١٩) في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام.

[2] رواه أحمد (١٥٦/٤) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٤٩٢).

شعيب عليه السلام: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [هود: ٨٤] وقال عن عيسى عليه السلام: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾ [آل عمران: ٥١] وأمر الله نبيه محمداً ﷺ أن يقول لأهل الكتاب: ﴿ قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ ﴾ [آل عمران: ٦٤] وبالجملة، فإن الله تعالى قال: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ٢١].

من صور اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالتوحيد:

ومن صور اهتمام الصحابة رضي الله عنهم بالتوحيد، ما جاء عن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنهما قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجةٍ فانتهى إلى الباب، تنحنح وبزق كراهية أن يهجم منّا على شيء يكرهه، قالت: وإنه جاء ذات يوم فتنحنح، قالت: وعندي عجوز ترقيني من الحمرة، فأدخلتها تحت السرير، فدخل فجلس إلى جنبي فرأى في عنقي خيطاً، قال: ما هذا الخيط ؟ قالت: قلت: خيط أُرقيَ لي فيه، قالت: فأخذه فقطعه ثم قال: إن آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إن الرقى والتمائم والتِولة شرك** ». قالت: فقلت له: لم تقول هذا وقد كانت عيني تقذف فكنت أختلف إلى فلان اليهودي يرقيها، وكان إذا رقاها سكنت، قال: إنما كان ذلك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقيها كفّ عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما قال رسول الله ﷺ: « **أذهب البأس رب الناس، اشفِ وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقماً** ».[1]

من صور اهتمام أهل بيت رسول الله ﷺ بالتوحيد:

ومن صور اهتمام أهل البيت بالتوحيد ما رواه ابن أبي شيبة[2] عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أنه رأى رجلاً يجيء إلى فرجةٍ كانت عند قبر النبي ﷺ فيدخل فيها فيدعو، فدعاه فقال: ألا أحدثك بحديث سمعته من أبي عن جدي عن

---

[1] رواه أحمد (٣٨١/١). وابن ماجه (٣٥٣٠). وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٣٣١).

[2] في المصنف (٢٦٨/٢) دار الفكر - بيروت.

رسول الله ﷺ قال: « **لا تتخذوا قبري عيداً، ولا بُيوتكم قبوراً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيثما كنتم** ».[١]

التوحيد الذي جاءت به الرسل:

والتوحيد الذي جاءت به الرسل هو إفراد الله بالعبادة، فلا معبود بحق إلا الله، وعندما نقول إفراده بالعبادة، لا نعني بذلك الصلاة والزكاة والصوم فحسب، بل كل ما يندرج تحت هذه اللفظة من أقوال وأفعال. فالدعاء عبادة لا يجوز صرفه لغير الله، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ﴾ [الإسراء: ١١٠]. وقال: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقال رسول الله ﷺ: « **الدعاء هو العبادة** ».[٢] والنذر عبادة لا يجوز صرفه لغير الله لقوله تعالى: ﴿ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ ﴾ [الحج: ٢٩]. والذبح عبادة لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأنعام: ١٦٢]. وقوله: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ [الكوثر: ٢]. وفي الحديث: « **لعن الله من ذبح لغير الله** ».[٣]

والاستغاثة عبادة لقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [يونس: ١٠٦]. وقوله: ﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ ﴾ [الأنفال: ٩]. وقوله: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [النمل: ٦٢]. والاستعانة عبادة لقوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥]. ولحديث رسول الله ﷺ: « **إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله** ».[٤] والحلف عبادة لقوله ﷺ: « **من حلف بغير الله فقد أشرك** ».[٥]

---

[١] ورواه أبو داود (٢١٤٢) عن أبي هريرة ﷺ بلفظ: « **لا تجعلوا بيوتكم قبوراً، ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلُّوا عليَّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم** ». صححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٢] رواه أحمد (٤/٢٦٧) وأبو داود (١٤٧٩) والترمذي (٣٣٧٢) وابن ماجه (٣٨٢٨) وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

[٣] رواه مسلم (١٩٧٨) في كتاب الأضاحي، باب تحريم الذبح لغير الله تعالى، ولعن فاعله.

[٤] رواه أحمد (١/٢٩٣ و ٣٠٣ و ٣٠٧) والترمذي (٢٥١٦) وصححه الألباني رحمه الله تعالى في صحيح سنن الترمذي.

[٥] رواه أحمد (٢/٣٤ و ٨٦) وأبو داود (٣٢٥١) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

فكل هذه الأمور وغيرها (من العبادات الظاهرة والباطنة والتسبيح والتحميد والتمجيد والتهليل والتكبير وتلاوة القرآن وتدبره وتعلمه وتـعليمه، وسـائر الأذكار المشروعة، ومحبة الله ورسوله والمؤمنين، والمحبة في الله والبغض فيه، والموالاة والمعاداة لأجله، وغير ذلك من العبادات التي لا تخرج عن تعريفنا بأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة).[1]

والعبادة إن كانت لله فهو التوحيد الذي هو أشرف المطالب، وإن كانت لغيره فالشرك الأكبر المخلد صاحبه في النار والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴾ [الأحقاف: ٥] وقـال: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَـٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

توحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله، وهو الاعتقاد أن الله تعالى خالق العباد ورازقهم، محييهم ومميتهم، وهـو الذي يعطي ويـمنع، وينفع ويضر، ويـعز ويذل، وهو المتصرف في هذا الكون كيف يشاء سبحانه، لا شريك له في ذلك كله، ومنها الإيمان بأنَّ لله وحده حق التشريع، قال تعالى: ﴿ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ ﴾ [يوسف: ٤٠]. فالتشريع حق للرب جلَّ وعلا، فالحلال ما أحله الله، والحرام ما حرمه الله، والدين والمنهج والطريق والصبغة ما شرعه الرب جلّ جلاله.

توحيد الأسماء والصفات:

هو الاعتقاد بأن لله سبحانه وتعالى أسماء وصفات تليق به، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ ﴾ [الأعراف: ١٨٠]. وأسماء الله تعالى توقيفية، فلا يجوز أن نطلق على الله تعالى اسماً لم يسمِّ به نفسه ولم يسمِّه به رسوله ﷺ، كأن يقول القائل: (إن الله هو الصانع) فيجعله اسماً له، أو (هو المهندس الذي هندس هذا الكون) فهذا وأمثاله لا يجوز لأن أسماء الله تعالى كما ذكرنا توقيفية تُستمد من الكتاب والسنة، ولأن الله تعالى أعلم بنفسه، ولأن رسوله ﷺ أعلم به منَّا.

---

[1] معارج القبول للحافظ الحكمي (٤١٥/١ ـ ٤١٦).

إذن فأسماء الله تعالى توقيفية على ما جاء في الكتاب والسنة، وأسماء الله تعالى كلها حسنى، بالغة في الحسن، وهي غير محصورة بعدد معين لقول رسول الله ﷺ: « **أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك** ».[١] وما استأثر الله به في علم الغيب عنده لا يطَّلع عليه أحد، وهذا لا ينافي الحديث المروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « **إن لله تسعة وتسعين اسماً، مائة إلا واحداً، من أحصاها دخل الجنة** ».[٢] فالمقصود أن الله تعالى قد أطلعنا على تسعة وتسعين اسماً لندعوه بها ونعبده بها، وليس المراد حصر الأسماء بهذا العدد.

وأما صفات الله تعالى فهي صفات تليق بجلاله وعظمته، وهي صفات كمال ومدح لا نقص فيها بوجه من الوجوه. وهي صفات عليا، وصف الله بها نفسه في كتابه الكريم، ووصفه بها رسوله ﷺ في سنته الشريفة، ونحن نؤمن بهذه الصفات كما آمن بها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم أجمعين، من غير تحريف ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل، فنثبت له ما أثبته لنفسه من الأسماء والصفات، وننزهه عمَّا نزَّه عنه نفسه من مماثلة المخلوقات، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، قال تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. فقوله: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ ﴾ ردٌّ على الممثلة والمشبهة. وقوله: ﴿ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ رد على النفاة المعطلة.

والأصل في هذا الباب، أنّ كل ما ثبت في الكتاب والسنَّة وجب الإيمان به والتصديق، وإن خالف العقل، لأن العقل مخلوق، والمخلوق محدود، والمحدود ناقص، والناقص لا يدرك حقيقة الخالق الكامل. فكيف بإدراك صفاته ؟

قال نعيم بن حمَّاد رحمه الله: « من شبَّه الله بخلقه فقد كفر، ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر، وليس ما وصف الله به نفسه أو رسوله تشبيهاً ».[٣]

---

[١] أخرجه أحمد بن حنبل في المسند (٣٩١/١).

[٢] أخرجه البخاري (٢٧٣٦) في كتاب الشروط، باب ما يجوز من الاشتراط والثنيا في الإقرار. ومسلم (٢٦٧٧) في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في أسماء الله تعالى وفضل من أحصاها.

[٣] رواه عنه الذهبي في العلو (١٨٤) مختصره للألباني، وسنده صحيح.

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: « لله أسماء وصفات لا يسع أحد ردَّها، ومن خالف بعد ثبوت الحجة عليه فقد كفر، وأما قبل قيام الحجة فإنه يعذر بالجهل، لأن علم ذلك لا يدرك بالعقل ولا الرؤية والفكر، فنثبت هذه الصفات، وننفي عنه التشبيه كما نفى عن نفسه، فقال: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ ».[1]

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « فمن قال ليس لله علم، ولا قوة، ولا رحمة، ولا كلام، ولا يحب، ولا يرضى، ولا نادى، ولا ناجى، ولا استوى، كان معطلاً جاحداً ممثلاً لله بالمعدومات والجمادات، ومن قال: له علم كعلمي، وقوة كقوتي، أو حب كحبي، أو رضاء كرضائي، أو يدان كيداي، أو استواء كاستوائي، كان مشبّهاً ممثلاً لله بالحيوانات، بل لا بدّ من إثبات بلا تمثيل، وتنزيه بلا تعطيل ».[2]

قال الترمذي[3] رحمه الله: وقد قال غير واحدٍ من أهل العلم في هذا الحديث وما يشبه هذا من الروايات من الصفات، ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلةٍ إلى السماء الدنيا، قالوا: قد تثبت الروايات في هذا ويؤمن بها ولا يُتوهم، ولا يقال كيف، هكذا روي عن مالك، وسفيان بن عُيينة، وعبد الله بن المبارك، أنهم قالوا في هذه الأحاديث: أمِرُّوها بلا كيف، وهكذا قول أهل العلم من أهل السنة والجماعة، وأما الجهمية[4] فأنكرت هذه الروايات وقالوا: هذا تشبيه. وقد ذكر الله ﷻ في غير موضع من كتابه: اليد والسمع والبصر، فتأولت الجهمية هذه الآيات ففسَّروها على غير ما فسَّر أهل العلم، وقالوا[5]: إن الله لم يخلق آدم بيده، وقالوا: إنَّ معنى اليد هاهنا القوة.[6] وقال إسحاق بن إبراهيم: إنما يكون التشبيه إذا قال: يد كيد أو مثل يد، أو سمع كسمع أو مثل سمع، فإذا قال: سمع كسمع أو مثل سمع فهذا تشبيه، وأما إذا قال كما قال الله تعالى: يد وسمع وبصر، ولا يقول كيف، ولا يقول مثل سمع، ولا كسمع، فهذا لا يكون تشبيهاً

---

[1] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/٤٠٧). وسير أعلام النبلاء للذهبي (١٠/٧٩).

[2] الرسالة التدمرية (٢٠) ابن تيمية.

[3] في كتاب الزكاة، باب ما جاء في فضل الصدقة. تعليقاً على حديث: « **إن الله يقبل الصدقة ويأخذها بيمينه..** ». انظر حديث (٦٦١ و ٦٦٢) مكتبة المعارف ـ الرياض ـ.

[4] نسبة إلى جهم بن صفوان.

[5] أي الجهمية.

[6] وبهذا تأولته الأشاعرة.

وهو كما قال الله وتعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾. اهـ .

وقال الشيخ الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني[1] **رحمه الله**: إن أصحاب الحديث متمسكين بالكتاب والسنة، حفظ الله أحياءَهم، ورحم الله أمواتهم، يشهدون لله تعالى بالوحدانية، وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة، ويعرفون ربهم ﷻ بصفاته التي نطق بها وحيه وتنزيله، أو شهِد له بها رسوله ﷺ على ما وردت الأخبار الصحاح به، ونقلته العدول الثقات عنه، ويثبتون له جل جلاله ما أثبت لنفسه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ، ولا يعتقدون تشبيهاً لصفاته بصفات خلقه، فيقولون: إنه خلق آدم بيده كما نصَّ سبحانه عليه في قوله عزَّ من قائل: ﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]. ولا يحرفون الكلام عن مواضعه بحمل اليدين على النعمتين، أو القوتين، تحريف المعتزلة والجهمية أهلكهم الله، ولا يكيّفونهما بكيف أو يشبهونهما بأيدي المخلوقين تشبيه المشبهة خذلهم الله، وقد أعاذ الله تعالى أهل السنة من التحريف والتكييف والتشبيه، ومنّ عليهم بالتعريف والتفهيم حتى سلكوا سبل التوحيد والتنزيه، وتركوا القول بالتعليل والتشبيه، واتبعوا قول الله ﷻ: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى: ١١]. وكما ورد القرآن بذكر اليدين في قوله: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ [ص: ٧٥]. وقوله: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ [المائدة: ٦٤]. ووردت الأخبار الصحاح عن رسول الله ﷺ بذكر اليد.[2]

شبهة والجواب عنها:

وقد أورد بعضهم شبهة وهي: أن تقسيم التوحيد إلى ثلاثة أقسام: ألوهية وربوبية وأسماء وصفات، تقسيم حادث جاء به ابن تيمية رحمه الله.

والجواب:

١ ـ ليس شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أول من قسَّم التوحيد، بل ذكر الإمام الطبري رحمه الله في تفسيره الألوهية والربوبية، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ

---

[1] المولود عام ٣٧٣ هـ والمتوفى عام ٤٤٩ هـ.

[2] عقيدة السلف أصحاب الحديث (٢٦) مكتبة الغرباء ـ المدينة المنورة ـ.

رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس: ٣]. قال: فاعبدوا ربكم الذي هذه صفته وأخلصوا له العبادة، وأفردوا له الألوهية والربوبية.[١] وهذا تقسيم للتوحيد إلى ألوهية وربوبية تضمنتهما الآية.

٢ ـ إن هذا التقسيم استقرائي دلّ عليه التتبع والاستقراء لآيات وأحاديث التوحيد، وقد اقتضاه حاجة التعليم وتسهيل دراسة العقيدة، كما قسَّم العلماء العلوم إلى ما يتعلق بالفقه والأصول والمصطلح، وذلك لحاجة التعليم، ولم تكن في الصدر الأول للإسلام مقسَّمة بهذا التقسيم، ولا مشاحة في ذلك.

قال الشنقيطي رحمه الله: وقد دلّ استقراء القرآن العظيم على أن توحيد الله ينقسم إلى ثلاثة أقسام، ثم ذكرها: توحيده في ربوبيته، وعبادته، وأسمائه وصفاته.[٢]

من أسباب مخالفة الخلف لمنهج السلف في الأسماء والصفات:

١ ـ **تقديم العقل على النقل**: فقد أسسوا دينهم على المعقول وجعلوا النصوص تابعة للعقول، فما وافق عقلهم قبلوه، وما لم يوافقه ردّوه. بل لا نبعد إذا قلنا: إن المؤولة عبدوا رباً هم وصفوه، فأثبتوا بعض الصفات التي لا يمكن أن يُنزَّه عنها الإله، وما يمكن أن ينزّه عنه ويخلّى منه في عقولهم ردّوه وحرّفوه، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، أنهم يلزمهم فيما أثبتوه ما فرُّوا منه لأن الكلام على بعض الصفات كالكلام على البعض الآخر، ولهذا لا يوجد لنفاة بعض الصفات دون بعض قانون مستقيم، فإذا قيل لهم: لِمَ تأولتم هذا وأقررتم هذا والسؤال فيهما واحد، لم يكن لهم جواب صحيح، اللهم إلا مظنة التشبيه في الذي أوّلوه، وعدمه في الذي أثبتوه.[٣]

قال السيوطي رحمه الله: « اعلم أنَّ فصل ما بيننا وبين المبتدعة هو مسألة العقل، فإنهم أسسوا دينهم على المعقول، وجعلوا الاتباع والمأثور تبعاً للعقول، وأما أهل السنة قالوا: الأصل في الدين الاتباع، والعقول تبع، ولو كان أساس الدين مبنياً على المعقول

---

[١] تفسير الطبري، الآية (٣) من سورة يونس.

[٢] راجع أضواء البيان للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (٣/٣٧٣ ـ ٣٧٦).

[٣] انظر في ذلك الرسالة التدمرية لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فقد ردَّ فيها على الأشاعرة وبيّن تناقض مذهبهم.

لاستغنى الخلق عن الوحي وعن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولبطل معنى الأمر والنهي، ولقال من شاء ما شاء ».[١]

وقال: ثم نقول لهذا القائل (بني ديننا على العقل وأمرنا باتباعه):

أخبرنا إذا أتاك أمر من الله تعالى يخالف عقلك فبأيهما تأخذ ؟ بالذي تعقل أو بالذي تؤمر ؟ فإن قال: بالذي أعقل، فقد أخطأ وترك سبيل الإسلام، وإن قال: آخذ بالذي جاء من عند الله، فقد ترك قوله. وإنما علينا أن نقبل ما عقلناه إيماناً وتصديقاً وما لم نعقله قبلناه تسليماً واستلاماً، وهـذا مـعنى قول القائل من أهل السنة: إن الإسلام قنطرة لا تعبر إلا بالتسليم.[٢]

٢ ـ **الخوض في علم الكلام** المذموم الذي عابه السلف ونهوا عن الاشتغال به، فمن هؤلاء العلماء:

أ ـ **الإمام أبو حنيفة رحمه الله**: فقد سئل: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام ؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.[٣]

ب ـ **الإمام مالك رحمه الله**: قال: « قُبض رسول الله ﷺ وقد تمّ هذا الأمر واستكمل، فإنما ينبغي أن تتبع آثار رسول الله ﷺ ولا يتبع الرأي، فإنه متى اتبع الرأي جاء رجل أقوى في الرأي منك فاتبعته، فأنت كلما جاء رجل عليك اتبعته، أرى هـذا لا يتم ».[٤]

ج ـ **الإمام الشافعي رحمه الله**: قال: « حكمي في أهل الكلام أن يضربوا بالجريد، ويحملوا على الإبل، ويطاف بهم في العشائر والقبائل ويُنادى عليهم: هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة وأقبل على الكلام ».[٥]

---

[١] صون المنطق والكلام للسيوطي (٢٣٥/١) المكتبة العصرية ـ صيدا ـ .

[٢] نفس المصدر (٢٣٦/١).

[٣] صون المنطق والكلام للسيوطي (٦٦/١).

[٤] إيقاظ همم أولي الأبصار للفلاني (١٨).

[٥] سير أعلام النبلاء للذهبي (٢٩/١٠) مؤسسة الرسالة بيروت.

وقال أيضاً: « حكمي في أهل الكلام، حكم عمر رضي الله عنه في صبيغ ».[١]

وقال أيضاً: « مذهبي في أهل الكلام تقميع رؤوسهم بالسياط وتشريدهم من البلاد ».[٢]

وعن أبي ثور والربيع قالا: سمعنا الشافعي يقول: ما ارتدى أحد بالكلام فأفلح.[٣]

د ـ **الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله**: قال: « أئمة الكلام زنادقة ».[٤]

وقال: « لا تجالسوا أهل الكلام وإن ذبُّوا عن السنة ».[٥]

ذكر بعض علماء الكلام الذين تراجعوا عن مذهبهم:

وقد تراجع غير واحد من أئمة علم الكلام الذين أفنوا أعمارهم في تحصيل مذهب الخلف وتقويته والدفاع عنه، قد انتابتهم الحيرة في نهاية المطاف، فلم يسعهم إلا أن يُعلنوا على رؤوس الأشهاد وفي مؤلفاتهم الرجوع عن مذهبهم، والتحذير منه، والحث على التمسك بمذهب السلف في الصفات والأخذ به، فإنه الأحكم والأعلم والأسلم.

١ ـ **أولهم الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله** الذي كان معتزلياً تلميذ الجبائي رئيس المعتزلة بالبصرة، واستمر في الدراسة حتى بلغ في الاعتزال مبلغاً خطيراً، حتى صار لهم إماماً، ثم غاب عن الناس في بيته خمسة عشر يوماً، فبعد ذلك خرج إلى الجامع فصعد المنبر بالبصرة بعد الجمعة، وأشهد الناس أنه تائب مما كان فيه من القول بالاعتزال[٦]، فصار إلى عقيدة ابن كلاب البصري فترة من الزمن[٧]، ثم تراجع عنها إلى عقيدة الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

قال ابن تيمية رحمه الله عن أبي الحسن الأشعري رحمه الله: فإنه كان تلميذ

---

(١) ذم الكلام وأهله للهروي (٨/٤) مكتبة الغرباء بالمدينة المنورة. وانظر ضرب عمر رضي الله عنه لصبيغ بن عسل المتكلم في نفس المصدر.

(٢) صون المنطق للسيوطي (٦٦/١).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢٧/١٠).

(٤) صون المنطق للسيوطي (٢٠١/١).

(٥) مناقب الإمام أحمد لابن الجوزي (١٥٦).

(٦) انظر ما نقله ابن عساكر في تبيين كذب المفتري (٣٩ ـ ٤٠) دار الكتاب العربي ـ بيروت ١٩٨٤م.

(٧) انظر: جلاء العينين بمحاكمة الأحمدين للآلوسي (٢٢١) المكتبة العصرية ـ صيدا، والفتاوى لابن تيمية (١٠٣/٣) و(٥٥٦/٥).

الجبائي، ومـال إلـى طـريقة ابن كلاب البصري، وأخذ عن زكريا الساجي أصول الحديث بالبصرة، ثم لمـا قدم بغداد أخذ عن حنبلية بغداد أموراً أخرى، وذلك آخر أمره كما ذكره هو وأصحابه في كتبهم.[١]

قال الذهبي رحمه الله في ترجمة الحافظ زكريا الساجي رحمه الله: كان من أئمة الحديث، أخذ عنه أبو الحسن الأشعري مقالة السلف في الصفات، واعتمد عليهـا أبو الحسن في عدة تآليف.[٢]

وقد ألّف بذلك كتاب الإبانة[٣]، وقد نص عـلى ذلك ابـن عساكر في تبيين كذب المفتري، حيث قال: فلا بد أن نحكي عنه معتقده على وجهه بالأمانة، ونجتنب أن نزيد فيه أو ننقص منه تركاً للخيانة، لـيعلم حـقيقة حاله في صحة عقيدته في أصول الديانة، فاسمع ما ذكره في أول كتابه الذي سمّاه الإبانة، فإنه قال:

« الحمد لله الأحد الواحد... » إلى أن قال: « فإن قال قائلٌ قد أنكرتم قول المعتزلة والقدرية والجهمية والحرورية والرافضة والمرجئة، فعرفونا قولكم الذي به تقولون، وديانتكم التي بها تدينون، قيل له: قولنا الذي به نقول، وديانتنا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وما روي عن الصحابة ﷺ والتابعين وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتصمون، وبما كـان عـليه أحمد بن حنبل نضر الله وجهه ورفع درجته وأجزل مثوبته قائلون، ولمن خالف قوله مجانبون .... ».[٤] إلى أن قال في بيان معتقده في الصفات: « وأن الله استوى على عرشه كما قال: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، وأن له وجهاً كما قال: ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن: ٢٧]، وأن له يداً كما قال: ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال: ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص: ٧٥]، وأن له عيناً بلا كيف

---

[١] الفتاوى (٢٢٨/٣).

[٢] سير أعلام النبلاء (١٩٨/١٤).

[٣] قال الحافظ الذهبي في السير (٩٠/١٥): إن الأشعري لما قدم بغداد جاء إلى أبي محمد البربهاري فجعل يقول: رددت على الجبّائي، رددت على المجوس، رددت على النصارى، فقال أبو محمد: لا أدري ما تقول، ولا نعرف إلا ما قاله الإمام أحمد، فخرج وصنّف الإبانة.

[٤] وذكر كلاماً في مدح الإمام أحمد رحمه الله، وقد حذفته اختصاراً.

كما قال: ﴿ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا ﴾ [القمر: ١٤]، وذكر سائر عقيدته ».[١]

ومما يبين رجوع الإمام أبي الحسن الأشعري إلى مذهب أهل الحديث وما كان عليه الإمام أحمد رحمه الله، ما ذكره في كتابه مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، حيث ذكر جملة قول أهل الحديث والسنة في الاعتقاد، ثم ختم بقوله: وبكل ما ذكرنا من قولهم نقول، وإليه نذهب.[٢]

٢ ـ **ومنهم إمام الحرمين أبو المعالي الجويني** رحمه الله، في الرسالة النظامية وهي من أواخر ما ألف، حيث قال: « والذي نرتضيه رأياً، وندين الله به عقيدة، اتباع سلف الأمة، والدليل القاطع السمعي في ذلك، وأن إجماع الأمة حجة متبعة، فلو كان تأويل هذه الظواهر مسوَّغاً أو محتوماً، لأوشك أن يكون اهتمامهم به فوق اهتمامهم بفروع الشريعة، وإذا انصرم عصر الصحابة ﷺ والتابعين عن الإضراب عن التأويل، كان ذلك هو الوجه المتّبع ».[٣]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « وهذا إمام الحرمين، ترك ما كان ينتحله ويقرره، واختار مذهب السلف، وكان يقول: يا أصحابنا لا تشتغلوا بالكلام، فلو أني عرفت أن الكلام يبلغ بي إلى ما بلغ ما اشتغلت به، وقال عند موته: لقد خضت البحر الخضم، وخليت أهل الإسلام وعلومهم، ودخلت فيما نهوني عنه، والآن: إن لم يتداركني ربي برحمته، فالويل لابن الجويني، وها أنا ذا أموت على عقيدة أمي ـ أو قال ـ : عقيدة عجائز نيسابور ».[٤]

٣ ـ **ومنهم أبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الشهرستاني**[٥]، أخبر أنه لم يجد عند المتكلمين والفلاسفة إلا الحيرة والندم، وأنشد يقول:

والله لقد طفت المعاهد كلها ... وسيَّرت طرفي بين تلك المعالم

---

[١] تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، لابن عساكر (١٥٢ و ١٥٧ و ١٥٨).

[٢] انظر مقالات الإسلاميين لأبي الحسن (٢٩٠ ـ ٢٩٧) عند حكايته قول أهل الحديث. طبع دار إحياء التراث العربي بيروت ـ (ط) ثالثة.

[٣] انظر فتح الباري (٤٠٧/١٣).

[٤] مجموع الفتاوى (٧٣/٤).

[٥] المتوفى عام ٥٤٨ هـ.

فلـم أرَ إلا واضعاً كـف حائرٍ على ذقنٍ أو قـارعاً سن نادم[١]

٤ ـ **ومنهم الإمام فخر الدين الرازي**[٢]، فقد جاء في طبقات الشافعية: قال ابن الصلاح: أخبرني القطب الطوغاني مرتين: أنه سمع فخر الدين الرازي يقول: يا ليتني لم أشتغل بعلم الكلام، وبكى.[٣]

وقال في كتابه (أقسام اللذات): « لقد اختبرت الطرق الكلامية، والمناهج الفلسفية، فما رأيتها تشفي عليلاً، ولا تروي غليلاً، ورأيت أصح الطرق طريقة القرآن: أقرأ في التنزيه: ﴿ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِيُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ﴾ [محمد: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ﴾ [الشورى: ١١] و ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص: ١]. وأقرأ في الإثبات: ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه: ٥]، ﴿ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ ﴾ [النحل: ٥٠] و ﴿ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ ﴾ [فاطر: ١٠]، وأقرأ أن الكلَّ من الله، قوله: ﴿ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ٧٨]، ثم قال: وأقول من صميم القلب من داخل الروح: إني مقر بأن كل ما هو عيب ونقص فأنت منزه عنه، وأنشد يقول:

نهـاية إقـدام العقـول عقـال وأكـثر سعي العالمين ضلال
وأرواحنا في وحشة من جـسومنا وحـاصل دنيانـا أذى ووبـال
ولم نستفد من بحثنا طول عمرنا سوى أن جمعنا فيه قيل وقالوا ».[٤]

الفصل الثالث: المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة (في العبادة)

تمهيد: من المتقرر المعلوم من منهج السلف الصالح في العبادة: أن العبادة لا تكون صحيحةً صواباً إلا إذا كانت خالصةً لوجه الله تعالى، وأن تكون موافقةً لسنة رسول الله ﷺ.

ولا تكون العبادة كذلك إلا إذا كانت مبنيةً على العلم، إذ هي بغير ذلك تبنى

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/٧٣).
(٢) المتوفى عام ٦٠٦ هـ.
(٣) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/٨٢).
(٤) انظر: مجموع الفتاوى (٤/٧٣) و (٥/١٠ ـ ١١).

على الجهل، والجهل يؤدي بصاحبه إلى البدعة، ثم إلى المعصية، والمعاصي بريد الكفر.

والعلم كما عرَّفه ابن القيم رحمه الله: « معرفة الحق بدليله ».[١] وهذا هو العلم النافع الذي يؤدي بصاحبه إلى الجنة، ولا سبيل إلى اقتباسه « إلا من مشكاة من قامت الأدلة القاطعة على عصمته، وصرَّحت الكتب السماوية بوجوب طاعته، وهو الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ».[٢] وهو العلم الذي اقتبسه الصحابة ﷺ، وسار عليه التابعون، وسلك على آثارهم أتباعهم، ثم الأئمة من بعدهم، حيث (كان دين الله سبحانه، أجلَّ في صدورهم، وأعظم في نفوسهم من أن يقدموا عليه رأياً أو معقولاً، أو تقليداً، أو قياساً، فصار لهم الثناء الحسن في العالمين، وجعل الله سبحانه لهم لسان صدق في الآخرين، ثم سار على آثارهم الرعيل الأول من أتباعهم، ودرج على منهاجهم الموفقون من أشياعهم، زاهدين في التعصب للرجال، واقفين مع الحجة والاستدلال، يسيرون مع الحق أين سارت ركائبه، ويستقلون مع الصواب حيث استقلت مضاربه، إذا بدا لهم الدليل بأُخذته طاروا إليه زرافاتٍ ووحداناً، وإذا دعاهم الرسول ﷺ إلى أمرٍ انتدبوا إليه، ولا يسألونه عمّا قال برهاناً، ونصوصه أجلُّ في صدورهم وأعظم في نفوسهم من أن يقدّموا عليها قول أحد من الناس، أو يعارضوها برأي أو قياس، ثم خلف من بعدهم خلوف، فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أقوالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا بمحض التقليد وقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] ».[٣]

المبحث الأول: في تلقي العلوم الشرعية:

ولما كانت المدرسة السلفية تدعو إلى التمسك بما كان عليه سلف الأمة، كان من الطبيعي أن يسلكوا سبيل خير القرون في تلقيهم للعلوم والأحكام الشرعية العملية، مترفعين عن التقليد، غير مدَّعين الاجتهاد، ـ كما يفتري عليهم المعاندون من المتعصبين ـ وإنما واقفون مع الحق والدليل حيث كان، غير مبالين إذا كان الدليل الصحيح مع زيد

---

[١] إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن قيم الجوزية (٧/١) دار الجيل.

[٢] نفس المصدر (٥/١).

[٣] إعلام الموقعين لابن القيم (٦/١ ـ ٧).

أو عمرو، إذ لم نؤمر بالتعصب لأقوال الرجال، وإنما للحق حيث كان، كما قال تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ٣].

العلماء بشر يخطئون ويصيبون:

على أننا نعتقد أن العلماء والمجتهدين بشر، يخطئون ويصيبون، وهم مأجورون في جميع الأحوال ما داموا مجتهدين، كما قال رسول الله ﷺ: « **إذا حكم الحاكم فاجتهد فأصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر** ».[١]

تنبيه: ولا يُفهم من كلامنا أننا نطالب العامة بالرجوع إلى الكتاب والسنة بمعنى: أن يستنبط كل إنسان الحكم الشرعي من الكتاب والسنة بنفسه وما يؤديه إليه اجتهاده، فليس الأمر كذلك، وإنما دعوتنا للعودة إلى الكتاب والسنة بمعنى أن لا نعبد الله ﷻ إلا بدليل منهما بفهم السلف الصالح لهما، لا أن نعبده بالرأي، والإصرار على قول الغير بلا دليل، في حين وجود الدليل الصحيح في المسألة.

أهل الحديث لا ينكرون الرأي والقياس الصحيح:

ومع تمسك أهل الحديث بالنص والإجماع، فإنهم لا ينكرون العمل بالرأي والقياس الصحيح، وقد بوَّب الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنّة (باب من شبَّه أصلاً معلوماً بأصلٍ مبيّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل). وأخرج فيه حديث أبي هريرة ﷺ: أن أعرابياً أتى رسول الله ﷺ فقال: إنَّ امرأتي ولدت غلاماً أسوداً، وإني أنكرته، فقال له رسول الله ﷺ: « **هل لك من إبل ؟** ». قال: نعم. قال: « **فما ألوانها ؟** ». قال: حمر. قال: « **هل فيها من أورق ؟** ». قال: إن فيها لورقاً. قال: « **فأنَّى ترى ذلك جاءها ؟** ». قال: يا رسول الله عِرق نزعها، قال: « **ولعل هذا عِرق نزعه ؟** ». ولم يرخص له في الانتفاء منه.[٢]

قال ابن بطال رحمه الله: « التشبيه والتمثيل هو القياس عند العرب ».[٣]

---

[١] رواه البخاري (٧٣٥٢) في كتاب الاعتصام، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ. ومسلم (١٧١٦) في الأقضية، باب بيان أجر الحاكم إذا اجتهد.

[٢] رواه البخاري (٧٣١٤) في كتاب الاعتصام، باب من شبّه أصلاً معلوماً بأصل مبيّن، وقد بيّن النبي ﷺ حكمهما ليفهم السائل. ومسلم (١٥٠٠) في كتاب اللعان.

[٣] فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/٣١٠).

الرأي والقياس الذي ينكره أهل الحديث:

فالذي ينكره أهل الحديث، هو الرأي والقياس الذي يُرَدُّ به النص من الكتاب أو السنة أو الإجماع الثابت، أما ردُّ الفرع إلى أصل محكوم عليه في الشريعة لعلة جامعة مناسبة للحكم عند فقد النص والإجماع أو قول الصحابي الذي لم يخالف فهذا لا ينكرونه كما ذكر ذلك ابن القيم في إعلام الموقعين في بيان أقسام الرأي فقال: « الرأي ثلاثة أقسام: رأي باطل بلا ريب، ورأي صحيح، ورأي هو موضع الاشتباه، والأقسام الثلاثة قد أشار إليها السلف، فاستعملوا الرأي الصحيح وعملوا به وأفتوا به، وسوَّغوا القول به، وذمُّوا الباطل، ومنعوا من العمل والفتيا والقضاء به، وأطلقوا ألسنتهم بذمه وذم أهله. والقسم الثالث سوَّغوا العمل والفتيا والقضاء به عند الاضطرار إليه، حيث لا يوجد منه بدّ، ولم يُلزموا أحداً العمل به، ولم يُحرموا مخالفته، ولا جعلوا مخالفه مخالفاً للدين، بل غايته أنهم خيَّروا بين قبوله وردّه، فهو بمنزلة ما أبيح للمضطر من الطعام والشراب الذي يحرم عند عدم الضرورة إليه، كما قال الإمام أحمد: سألت الشافعي عن القياس فقال لي: عند الضرورة ».

وقد عدّ ابن القيم رحمه الله، أنواع الرأي الباطل فجعلها أربعة:

أحدها: الرأي المخالف للنص.

الثاني: الكلام في الدين بالخرص والظن مع التقصير والتفريط في معرفة النصوص وفهمها واستنباط الأحكام منها.

الثالث: الرأي المتضمن تعطيل أسماء الرب وصفاته وأفعاله بالمقاييس الباطلة التي وضعها أهل البدع والضلال من الجهمية والمعتزلة والقدرية ومن ضاهاهم.

ثم قال ابن القيم رحمه الله: « وكل من له مسكة من عقل يعلم أن فساد العالم وخرابه، إنما نشأ من تقديم الرأي على الوحي، والهوى على العقل، وما استحكم هذان الأصلان الفاسدان في قلب إلا استحكم هلاكه، وفي أمة إلا فسد أمرها أتمَّ فساد.

الرابع: الرأي الذي أُحدثت به البدع، وغيرت به السنن ».[1]

---

[1] إعلام الموقعين (١/٦٧ ـ ٦٩) بتصرف.

نماذج من تلقي السلف للأحكام وتقديمهم النص على الرأي:

١ ـ **قــال ابن عباس رضي الله عنهمــا** في قوله تعــالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ [الحجرات: ١] يقول: « لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة ».[1]

وقال أيضاً: « أمــا تخــافــون أن تُـعذبوا أو يُخســف بكــم أن تقــولــوا: قــال رسول الله ﷺ وقال فلان ».[2]

٢ ـ **وقال سفيان الثوري رحمه الله:** « لا تقدموا بين يدي الله ورسوله ﷺ بقول ولا فعل ».[3]

قال القاضي ابن العربي رحمه الله: « قوله: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ أصل في ترك التعرض لأقوال النبي ﷺ، وإيجاب اتباعه والاقتداء به ».[4]

٣ ـ روى أبو هريرة ﷺ حديث الوضوء ممَّا مست النار، فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: يا أبا هريرة: أنتوضأ من الدهــن ؟ أنتوضــأ من الحميم ؟ فقال أبو هريرة ﷺ: يا ابن أخي، إذا سمعت حديثاً عن رسول الله ﷺ فلا تضرب له مثلاً.[5]

وفي هذه الحادثة من الفوائد:

أ ـ أن الأصل في الأوامر والنواهي التعبد، ولا يشترط العلم بالحكمة ليبادر إلى الامتثال.

ب ـ أن النص متى ما صحّ وجب تقديمه على القياس.[6]

٤ ـ عن ابن شهاب أن سالم بن **عبد الله بن عمر رضي الله عنهما** حدّثه أنه سمع رجلاً من أهل الشام وهو يسأل عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: هي حلال. فقال الشامي: إنّ أباك قد نهى عنها. فقال عبد الله: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله ﷺ، أمرُ أبي يتبع

---

[1] تفسير الطبري (٧٤/٢٦) دار المعرفة ـ بيروت.

[2] شرح السنة للبغوي (٢١٤/١) المكتب الإسلامي ـ بيروت.

[3] تفسير ابن كثير (٢٢٠/٤) دار المعرفة ـ بيروت.

[4] أحكام القرآن لابن العربي (١٤٥/٤) دار الكتب العلمية ـ بيروت.

[5] جامع الترمذي، حديث رقم (٧٩). والفقيه والمتفقه للخطيب البغدادي (٣٨٤/١) دار ابن الجوزي.

[6] انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ في الفقه الإسلامي (٢٨) طبع المكتب الإسلامي ـ بيروت.

أم أمر رسول الله ﷺ ؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله ﷺ. فقال: لقد صنعها رسول الله ﷺ. [(١)]

وفيه من الفوائد:

أ ـ أن من تبين له النص وجب المصير إليه، وأن النصوص لا تُعارض بأقوال الرجال.

ب ـ أن ترك أقوال العلماء المخالفة للنص لا يعتبر قدحاً بهم أو انتقاصاً لمنزلتهم.[(٢)]

٥ ـ **عن عمران بن حصين** رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « **الحياء لا يأتي إلا بخير** ». فقال بُشيرُ بن كعب: مكتوب في الحكمة: إن من الحياء وقاراً، وإن من الحياء سكينة. فقال له عمران: أحدثك عن رسول الله ﷺ وتحدثني عن صحيفتك ؟.[(٣)]

وفيه من الفوائد:

أ ـ أن الحكم إذا ثبت بالسنّة، لا نحتاج إلى التدليل عليه بما هو دونها.

ب ـ أن من احتج بقول رسول الله ﷺ الصحيح الثابت عنه، السالم من المعارِض والناسخ، لا يجوز الاحتجاج عليه بقول مجتهد.

ج ـ وجوب التلقي من السنة النبوية، وترك الاعتماد على كتب الرأي.[(٤)]

تعظيم الأئمة الأربعة للسنن ونهيهم عن تقليدهم:

وأما الأئمة الأربعة رحمهم الله، فإنَّ كلاً منهم مصرح بأنه لا يقدم قوله على قول رسول الله ﷺ، وهذا من فقههم رحمهم الله تعالى، ووعيهم لهذه المسألة، ومن عظيم حبّهم لله ورسوله ﷺ، فمنعوا الناس عن تقليدهم لا سيّما عند مخالفتها لصريح السنة. وسأذكر من أقوالهم ما يبيّن ذلك:

أولاً: الإمام أبو حنيفة رحمه الله: فإنه سئل: إذا قلتَ قولاً وكتاب الله يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لكتاب الله، فقيل: إذا كان خبر رسول الله ﷺ يخالفه ؟ قال: اتركوا قولي لخبر رسول الله ﷺ، فقيل له: إذا كان قول الصحابة يخالفه ؟ قال:

---

(١) رواه الترمذي في كتاب الحج، باب ما جاء في التمتع. وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي برقم (٦٥٨).

(٢) انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٢٦).

(٣) تابعي جليل، انظر: الفتح (٥٣٨/١٠).

(٤) انظر كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ﴾ في الفقه الإسلامي (٣١).

اتركوا قولي لقول الصحابة ﭫ.[(١)]

وقال أيضاً: « لا يحل لأحدٍ أن يأخذ بقولنا ما لم يعلم من أين أخذناه ».[(٢)]

وقال أيضاً: « إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي ».[(٣)]

ثانياً: الإمام مالك رحمه الله: فإنه قال: « أنا بشر أخطئ وأصيب، فانظروا في رأيي، فما وافق الكتاب والسنة فخذوا به، وما لم يوافق فاتركوه ». وقال عند موته: « وددت أني ضُربت بكل مسألةٍ تكلمت فيها برأيي سوطاً، على أنه لا صبر لي على السياط ».[(٤)]

وقال أيضاً: « كلُّ أحدٍ يؤخذ من قوله ويترك إلا صاحب هذا القبر ﷺ ».[(٥)]

ثالثاً: الإمام الشافعي رحمه الله: فإنه قال: « أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله ﷺ لم يكن له أن يدعها لقول أحدٍ من الناس ».[(٦)]

وقال: « ما من أحدٍ إلا وتذهب عليه سنة لرسول الله ﷺ، وتعزب عنه، فمهما قلت من قول أو أصّلت من أصل، فيه عن رسول الله ﷺ خلاف ما قلت، فالقول ما قال رسول الله ﷺ وهو قولي ».[(٧)]

وقال: « إذا وجدتم في كتابي خلاف سنة رسول الله ﷺ فقولوا بها ودعوا ما قلت ».[(٨)] وروى المزني عن الشافعي في أول مختصره: أنه لم يزل ـ أي الشافعي ـ ينهى عن تقليده وتقليد غيره.[(٩)]

رابعاً: الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله: قال: « لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا

---

(١) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد للإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني (١٤٢) الدار السلفية ـ الكويت. وإيقاظ همم أولي الأبصار للشيخ صالح الفُلّاني (٥٠) دار المعرفة ـ بيروت.

(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن قيم الجوزية (٣٠٩/٢). وإيقاظ الهمم (٥٣).

(٣) حاشية ابن عابدين (٦٣/١).

(٤) إرشاد الفحول للشوكاني (٢٢٨) وسير أعلام النبلاء (٢٦٤/١٠).

(٥) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٩٣/٨).

(٦) إعلام الموقعين لابن القيم (٧/١) و (٣٦١/٢). وإيقاظ الهمم للفلاني (٥٨).

(٧) إعلام الموقعين لابن القيم (٣٦٣/٢ ـ ٣٦٤). وإيقاظ الهمم (١٠٠).

(٨) مختصر المؤمّل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (٥٧) تحقيق صلاح الدين مقبول أحمد. والمجموع شرح المهذب للنووي (٦٣/١).

(٩) مختصر المزني (١).

الشافعي ولا الأوزاعي ولا الثوري، وخذ من حيث أخذوا ».[(١)]

وقال: « رأي الأوزاعي، ورأي مالك، ورأي أبي حنيفة، كله رأي، وهو عندي سواء، وإنما الحجة في الآثار ».[(٢)]

أتباع الأئمة يتركون مذهبهم عند مخالفتها للسنة:

وكذلك العلماء ممن نُسبوا إلى الأئمة فإنهم كانوا يتركون قول الإمام عند مخالفته للنص، فمن أولئك:

١ ـ **زُفر رحمه الله**: فقد ذكر أبو عبيد بسند صحيح عن زفر رحمه الله أنه رجع عن قول أصحابه، فأسند عبد الواحد بن زياد قال: قلت لزفر: إنكم تقولون: تدرأ الحدود بالشبهات، فجئتم إلى أعظم الشبهات فأقدمتم عليها، المسلم يُقتل بالكافر !! قال: فاشهد عليّ أني رجعت عن هذا.[(٣)]

٢ ـ **الإمام القرطبي رحمه الله**: فإنه قال تعليقاً على مذهب مالك في جعله البر والشعير صنفاً واحداً [(٤)]:« وإذا ثبتت السنة فلا قول معها ».[(٥)]

٣ ـ **الإمام البغوي رحمه**، فقد قال تعليقاً على حديث : « **نهى النبي ﷺ عن عسب الفحل** ».[(٦)] قال: وقد ذهب إلى تحريمه أكثر الصحابة ﷺ والفقهاء، ورخّص فيه الحسن وابن سيرين وعطاء، وهو قول مالك، قال: لأنه من باب المصلحة، ولو مُنع منه لانقطع النسل، وهو كالاستئجار للإرضاع وتأبير النخل.[(٧)] ثم قال البغوي رحمه الله: « وما نهت عنه السنة فلا يجوز المصير إليه بطريق القياس ».[(٨)]

٤ ـ **الإمام النووي رحمه الله**، فإنه ذكر قول الإمام مالك في الموطأ، فقال: « قال مالك: لم أسمع أحداً من أهل العلم والفقه ومن به يُقتدى، نهى عن صيام يوم

---

(١) إعلام الموقعين (٣٠٢/٢). وإيقاظ الهمم (١١٣). ومختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول (٦١).

(٢) جامع بيان العلم لابن عبد البر (١٤٩/٢).

(٣) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (٢٦٢/١٢).

(٤) أي في البيوع الربوية، فقد نصت السنّة على أنهما صنفان من حديث عبادة ﷺ، وفيه: « ...**والبر بالبر، والشعير بالشعير** .. ». الحديث رواه مسلم.

(٥) تفسير القرطبي (٢٢٦/٣) عند تفسير الآيات (٢٧٥ ـ ٢٧٩) من سورة البقرة.

(٦) راوه البخاري (٢٢٨٤) في كتاب الإمارة، باب عسب الفحل. وعسب الفحل: هو أجرة ضراب مائه في الأنثى.

(٧) راجع إجابتنا عن هذا القياس في كتابنا: أثر قوله تعالى: ﴿ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾ ص (٦٦ ـ ٦٧).

(٨) شرح السنة للبغوي (١٣٨/٨ ـ ١٣٩).

الجمعة، وصيامه حسن، وقد رأيت بعض أهل العلم يصومه، وأراه كان يتحراه ».[(١)]

قال النووي رحمه الله: فهذا الذي قاله هو الذي رآه، وقد رأى غيره خلاف ما رأى هو، ثم قال: والسنة مقدمة على ما رآه هو وغيره.[(٢)]

وقال النووي رحمه الله في تعليقه على قول الشافعي رحمه الله: « إذا صحّ الحديث فهو مذهبي ». قال: وممن حكي عنه أنه أفتى بالحديث من أصحابنا: أبو يعقوب البويطي، وأبو القاسم الداركي، وممن نص عليه أبو الحسن الكيا الطبري في كتابه في أصول الفقه، وممن استعمله من أصحابنا من المحدثين: الإمام أبو بكر البيهقي وآخرون، وكان جماعة من متقدمي أصحابنا إذا رأوا مسألة فيها حديث، ومذهب الشافعي خلافه عملوا بالحديث وأفتوا به قائلين: مذهب الشافعي ما وافق الحديث.

ثم قال النووي: قال الشيخ أبو عمرو ابن الصلاح رحمه الله: « فمن وجد من الشافعية حديثاً يخالف مذهبه نُظر، إن كملت آلات الاجتهاد فيه مطلقاً، أو في ذلك الباب، أو المسألة، كان له الاستقلال بالعمل به، **وإن لم يكمل وشقّ عليه مخالفة الحديث بعد أن بحث فلم يجد لمخالفته عنه جواباً شافياً، فله العمل به إن كان عمل به إمام مستقل غير الشافعي، ويكون هذا عذراً له في ترك مذهب إمامه هنا** ». ثم قال النووي: « وهذا الذي قاله حسن متعيّن ».[(٣)]

بدعة التعصب المذهبي:

إن تقليد إمام بعينه وعدم الخروج عنه، لم يكن في زمن السلف الصالح، وإنما حدث التعصب في القرن الرابع، قال الإمام ابن القيم رحمه الله ـ بعد ذكره القرون الثلاثة الخيرية ـ : « ثم خلف من بعدهم خُلوف، فرَّقوا دينهم، وكانوا شيعاً، كل حزبٍ بما لديهم فرحون، وتقطعوا أمرهم بينهم زبراً، وكل إلى ربهم راجعون، جعلوا التعصب للمذاهب ديانتهم التي بها يدينون، ورؤوس أموالهم التي بها يتجرون، وآخرون منهم قنعوا

---

(١) عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « **لا تخصوا ليلة الجمعة بقيام من بين الليالي، ولا تخصوا يوم الجمعة بصيام من بين الأيام، إلا أن يكون في صوم يصومه أحدكم** ». رواه مسلم. وعنه مرفوعاً: « **لا يصومنَّ أحدكم يوم الجمعة إلا أن يصوم يوماً قبله أو يوماً بعده** ». متفق عليه.

(٢) شرح مسلم للنووي (١٩/٨).

(٣) المجموع شرح المهذب للنووي (٦٤/١).

بمحض التقليد وقالوا: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٢٣] ».[١]

وقال ابن حزم: « ثم ابتدأت هذه البدعة من حيث ذكرنا في العصر الرابع في القرن المذموم، ثم لم تزل تزيد حتى عمَّت بعد المائتين من الهجرة عموماً طبق الأرض، إلا من عصم الله ﷻ، وتمسك بالأمر الأول الذي كان عليه الصحابة والتابعون وتابعو التابعين بلا خلاف من أحد منهم ».[٢]

وقال أبو شامة المقدسي رحمه الله: « ثم اشتهرت المذاهب الأربعة وهُجر غيرها، فقصرت همم أتباعهم إلا قليلاً، فقلّدوا بعدما كان التقليد لغير الرسل حراماً، بل صارت أقوال أئمتهم عندهم بمنزلة الأصلَيْن، وذلك معنى قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة: ٣١] ». ثم قال: « حتى آل بهم التعصب إلى أن أحدهم إذا أُورد عليه شيء من الكتاب والسنة الثابتة على خلافه[٣]، يجتهد في دفعه بكل سبيل من التآويل البعيدة نصرةً لمذهبه، ولو وصل ذلك إلى إمامه الذي يقلده لقابله ذلك الإمام بالتعظيم وتبرَّأ من رأيه ».[٤]

وقال الإمام محمد بن إسماعيل الصنعاني رحمه الله: « وهذا معلوم بالضرورة أنه لم يكن في الصحابة ﷺ، ولا في تابعيهم، ولا تابع التابعين، وهذه هي القرون الثلاثة التي خيّرها رسول الله ﷺ بقوله: « **خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب** ».[٥] الحديث وما حدثت بدعة التقليد إلا في القرن الرابع الذي ذمَّه رسول الله ﷺ ».[٦]

وقال العز بن عبد السلام رحمه الله: « ومن العجب العجيب أن الفقهاء المقلدين يقف أحدهم على ضعف مأخذ إمامه بحيث لا يجد لضعفه مدفعاً، ومع هذا يقلّده فيه،

---

[١] إعلام الموقعين لابن القيم (١/٧).

[٢] الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم (٦/٨٥٨).

[٣] أي خلاف قول إمامه.

[٤] مختصر المؤمل في الرد إلى الأمر الأول لأبي شامة المقدسي (٤١ ـ ٤٢).

[٥] ورد الحديث بلفظ: « **خير الناس** » و « **خير أمتي** ». وسبق تخريجه.

[٦] إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (١٦٩).

ويترك من الكتاب والسنة والأقيسة الصحيحة جموداً على تقليد إمامه، بل يتحلل لدفع ظواهر الكتاب والسنة، ويتأولهما بالتأويلات البعيدة الباطلة نضالاً عن مقلده».[(١)] وقال: «وما رأيت أحداً رجع عن مذهب إمامه إذا ظهر له الحق في غيره، بل يصرُّ عليه مع علمه بضعفه وبُعده، فالأولى ترك البحث مع هؤلاء الذين إذا عجز أحدهم عن تمشية مذهب إمامه قال: لعل إمامي وقف على دليل لم أقف عليه ولم أهتدِ إليه، ولم يعلم المسكين أن هذا مقابل بمثله، ويفضل لخصمه ما ذكره من الدليل الواضح والبرهان اللائح، فسبحان الله ما أكثر من أعمى التقليد بصره حتى حمله على مثل ما ذكر».[(٢)]

المبحث الثاني: في الاتباع وترك الابتداع.

أهل الحديث يتمسَّكون بالسنّة ولا يبتدعون:

وأهل الحديث يتمسكون بالكتاب والسنة ولا يزيدون عليهما في عبادة أو اعتقاد، ويعتقدون أن الله ﷻ أتمَّ عليهم النعمة، وأكمل لهم الدين، كما قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣]، وأن الرسول ﷺ بيّن الدين أتمّ بيان، فعن أبي ذر رضي الله عنه قال: تَرَكَنا رسول الله ﷺ وما طائر يطير بجناحيه إلا وهو يذكر لنا منه علماً، فقال ﷺ: «**ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بُيّن لكم**».[(٣)]

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله كأنها موعظة مودع، فماذا تعهد إلينا؟ فقال: «**أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة**».[(٤)]

ولفظ (كل) من ألفاظ العموم، فيدخل فيها كل بدعة في الدين، قال الحافظ

[(١)] قواعد الأحكام في مصالح الأنام للعز بن عبد السلام (٢/٣٠٤ ـ ٣٠٥).

[(٢)] نفس المصدر.

[(٣)] رواه الطبراني في الكبير (١٦٤٧) وسنده صحيح.

[(٤)] رواه أبو داود (٤٦٠٧) وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

ابن حجر: قوله: « **كل بدعة ضلالة** ». قاعدة شرعية كلية بمنطوقها ومفهومها، أما منطوقها، فكأن يقال: (حكم كذا بدعة وكل بدعة ضلالة). فلا تكون من الشرع لأن الشرع كله هدى، فإن ثبت أن الحكم المذكور بدعة صحَّت المقدمتان، وأنتجتا المطلوب.[(١)]

وأهل الحديث يخصون البدعة بالدين، أما المصالح المرسلة والبدع الدنيوية، فهذه التي تتناولها الأحكام التكليفية الخمسة، ولا يمكن أن تكون بدعة في عبادة، لأن الابتداع استحسان، والاستحسان تشريع، وقد أنكر الله على الذين يشرعون في دينه ما لم يأذن به، فقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١]. وأما المصالح المرسلة فأمور حاجية تعرض للأمة في حياتها، والعبادات تامة، ولا تحتاج الأمة إلى عبادة لم يكمِّلها الشرع، وإلا اتهمنا الشرع بأنه لم يكمِّل العبادات التي يحصل بها الإيمان.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « باستقراء أصول الشريعة، نعلم أن العبادات التي أوجبها الله أو أحبها لا يثبت الأمر بها إلا بالشرع ».[(٢)] وقد قعَّد العلماء قاعدة وهي: (الأصل في العبادات الحظر، فلا يشرع منها إلا ما شرعه الله ورسوله ﷺ).[(٣)]

الأدلة من القرآن الكريم على وجوب الاتباع وتحريم الابتداع:

١ ـ قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣].

٢ ـ وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ﴾ [الشورى: ٢١].

٣ ـ وقال تعالى: ﴿ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ [الأعراف: ١٥٨].

٤ ـ وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾

---

(١) فتح الباري لابن حجر العسقلاني (١٣/٢٥٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٢٩/١٦).

(٣) القواعد والأصول الجامعة للشيخ عبد الرحمن السعدي (٣١).

[آل عمران: ٣١].

٥ ـ وقال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٦ ـ وقال تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

الأدلة من السنة:

١ ـ عن العرباض بن سارية ﷺ قال: صلى بنا رسول الله ﷺ ذات يوم ثم أقبل علينا بوجهه، فوعظنا موعظة بليغة، ذرفت منها العيون، ووجلت منها القلوب، فقال رجل: يا رسول الله، كأنها موعظة مودع فماذا تعهد إلينا ؟ فقال ﷺ: « **أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن كان عبداً حبشياً، فإنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** ».[١]

٢ ـ وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « **من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد** ».[٢] وفي لفظ: « **من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد** ».[٣]

من أقوال السلف:

١ ـ عن ابن مسعود ﷺ قَالَ: « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم ».[٤]

٢ ـ وقال أيضاً: « الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة ».[٥]

٣ ـ وقال ابن عباس رضي الله عنهما لرجل قال له: أوصني، فقال: « عليك بتقوى

---

[١] رواه أحمد (٤/١٢٦ ـ ١٢٧) وأبو داود (٤٦٠٧) وغيرهما، وصححه الترمذي، والهروي، والبزار، والبغوي، وابن عبد البر، والحاكم، وأبو نُعيَم، وانظر تخريج الحديث في حاشية (الأمر بالاتباع للسيوطي) تحقيق الشيخ مشهور بن حسن سلمان.

[٢] رواه البخاري (٢٦٩٧) في كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود. ومسلم (١٧١٨) في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

[٣] رواه مسلم (١٧١٨) في كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة، ورد محدثات الأمور.

[٤] رواه أبو خيثمة في العلم (ص ٥٤) وانظر شرح السنة للبغوي (١/٢١٤).

[٥] رواه ابن نصر في السنة (٢٥) واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/٥٥ ـ ٨٨) والدارمي (٢٢٣) والحاكم (١/١٠٣) وقال: صحيح على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

الله والاستقامة، اتبع ولا تبتدع ».[١]

٤ ـ وقال ابن عمر رضي الله عنهما: « كل بدعةٍ ضلالة وإن رآها الناس حسنة ».[٢]

٥ ـ وقال أبي بن كعب ﷺ: « عليكم بالسبيل والسنة، فإنه ليس من عبدٍ على سبيلٍ وسنةٍ ذكر الرحمن ففاضت عيناه من خشية الله فتمسه النار أبداً، وإنّ اقتصاداً في سبيل وسنةٍ خير من اجتهاد في خلاف سبيل وسنّة ».[٣]

٦ ـ وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله بإحياء السنة وإماتة البدعة.[٤]

٧ ـ وقال الزهري رحمه الله: « الاعتصام بالسنَّة نجاة ».[٥]

٨ ـ وقال الأوزاعي رحمه الله: « اصبر نفسك على السنَّة، وقِفْ حيث وقف القوم، وقل بما قالوا، وكفَّ عما كفوا عنه، واسلك سبيل سلفك الصالح، فإنه يسعك ما وسعهم ».[٦]

وقال أيضاً: « عليك بآثار من سلف، وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوا لك بالقول ».[٧]

من تطبيق السلف: وقد فهم السلف أن النهي عن البدعة عام ولم يستحسنوا شيئاً منها، وهذه بعض النقول التي تدل على فهمهم.

١ ـ عن ابن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً عطس إلى جنبه، فقال: الحمد لله والسلام على رسول الله، قال ابن عمر رضي الله عنهما: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله، ولكن ما هكذا علمنا رسول الله ﷺ، علمنا أن نقول: « **الحمد لله على كل حال** ».[٨]

---

[١] شرح السنة للبغوي (٢١٤/١).

[٢] اللالكائي (١٠٤/١). وابن نصر في السنة (٧٠) وهو صحيح.

[٣] اللالكائي (٥٩/١ ـ ٦٠).

[٤] نفس المصدر (٦٢/١).

[٥] نفس المصدر.

[٦] الأمر بالاتباع والنهي عن الابتداع لجلال الدين السيوطي (٤٩) بتحقيق الشيخ مشهور سلمان. دار ابن القيم ـ الدمام.

[٧] الشريعة للإمام محمد بن الحسين الآجري (٥٨) دار الكتب العلمية.

[٨] رواه الترمذي (٢٧٣٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

٢ ـ عن مجاهد رحمه اللّه قال: كنت مع ابن عمر رضي اللّه عنهما، فثوّب[١] رجل في الظهر ـ أو العصر ـ قال: اخرج بنا، فإنَّ هذه بدعة.[٢]

قال الترمذي: قال إسحاق ـ يعني ابن راهويه ـ: التثويب المكروه، هو شيء أحدثه الناس بعد النبي ﷺ، إذا أذَّن المؤذن فاستبطأ القومَ، قال بين الأذان والإقامة: « قد قامت الصلاة، حي على الصلاة، حي على الفلاح ». قال الترمذي: « وهذا الذي قال إسحاق: هو التثويب الذي كرهه أهل العلم والذي أحدثوه بعد النبي ﷺ ».[٣]

٣ ـ وقال ابن مسعود ﷺ لما رأى قوماً في المسجد حِلَقاً، يسبحون اللّه بالحصى: « إما أنكم على ملةٍ أهدى من ملة محمد ﷺ أو مفتتحو باب ضلالة ».[٤]

٤ ـ عن سعيد بن المسيب رحمه اللّه: أنه رأى رجلاً يصلي بعد طلوع الفجر أكثر من ركعتين، يكثر فيهما الركوع والسجود، فنهاه، فقال: يا أبا محمد، يعذبني اللّه على الصلاة ؟ قال: لا، ولكن يعذبك على خلاف السنَّة.[٥]

من أقوال العلماء في ذم البدع:

وقد ذمَّ العلماء البدع وحاربوها، فمن ذلك:

١ ـ نقل ابن الماجشون عن الإمام مالك رحمه اللّه أنه قال: « من ابتدع في الإسلام بدعةً يراها حسنةً، فقد زعم أنَّ محمداً ﷺ خان الرسالة، لأن اللّه تعالى يقول: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فما لم يكن يومئذٍ ديناً فلا يكون اليوم ديناً ».[٦]

٢ ـ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه اللّه: « العبادات والديانات والتقربات متلقاة عن اللّه ورسوله ﷺ، فليس لأحدٍ أن يجعل شيئاً عبادةً أو قربةً إلا بدليل شرعي ».[٧]

---

[١] هذا التثويب يسمّى التثويب المبتدع، وهو قول المؤذن قبل إقامة الصلاة: الصلاة يا مسلمون، الصلاة الصلاة، يقول ذلك على باب المسجد تذكيراً للناس بقرب الإقامة، وقد رأيت ذلك في بعض مساجد دمشق.

[٢] رواه أبو داود (٥٣٨) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٣] سنن الترمذي، في كتاب المواقيت، باب ما جاء في التثويب في الفجر.

[٤] رواه الدارمي (٦٨/١) بسند حسن.

[٥] رواه البيهقي بسند صحيح.

[٦] الاعتصام للشاطبي (١١١/١).

[٧] الفتاوى (٣٥/٣١).

٣ ـ وقال ابن القيم رحمه الله: « الأصل في العبادات البطلان حتى يقوم الدليل على الأمر ».[١]

٤ ـ وقال الإمام ابن كثير رحمه الله: « وباب القرباتِ يقتصر فيه على النصوص ولا يُتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء ».[٢]

٥ ـ وقال الإمام الذهبي رحمه الله: « كل ما أُحدث بعد نزول هذه الآية: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾ فهو فضلة وزيادة وبدعة ».[٣]

٦ ـ وقال الحافظ ابن حجر العسقلاني رحمه الله: « البدعة في عرف الشرع مذمومة بخلاف اللغة ».[٤]

٧ ـ وقال الحافظ ابن رجب رحمه الله: « ما وقع في كلام السلف من استحسان بعض البدع، فإنما ذلك في البدع اللغوية لا الشرعية ».[٥]

الخاتمة:

لقد عرضت منهج المدرسة السلفية « أهل الحديث والسنة » وتوصلت إلى ما يلي:

١ ـ إن المدرسة السلفية تنتسب إلى السلف الصالح، وهي المدرسة التي أُطلق عليها لقب أهل الحديث لأنهم يعظمون حديث رسول الله ﷺ ، كما أُطلق عليها لقب أهل السنة والجماعة، لأنهم يعملون بالسنة ويجتمعون عليها.

٢ ـ بيّنت المنهج العلمي لمدرسة أهل الحديث والسنة في العقيدة، وأن السلف كانوا يهتمون بالتوحيد، وأنه أول دعوة الرسل، كما بيَّنت اهتمام الصحابة وآل بيت رسول الله ﷺ بالتوحيد.

٣ ـ عرضت أهم الأسباب التي أدَّت إلى مخالفة الخلف لمنهج السلف، وذكرت أهم العلماء الذين تراجعوا عن مذهبهم الكلامي بعد أن أصابتهم الحيرة والاضطراب.

٤ ـ بيّنت منهجهم في تلقي الأحكام الشرعية العملية، وأنهم يقدمون الحديث

---

[١] إعلام الموقعين (١/٣٤٤).

[٢] تفسير ابن كثير (٤/٢٧٦) سورة النجم.

[٣] سير أعلام النبلاء (١٨/٥٠٩).

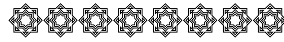
[٤] فتح الباري (١٣/٢٥٢).

[٥] جامع العلوم والحكم (٢٣٣). وانظر: إيقاظ الهمم المنتقى من جامع العلوم والحكم للشيخ سليم الهلالي (٤٠٢).

على الرأي والقياس، ولا يعدلون بالسنة قولَ أحدٍ من العلماء، وأن ذلك وصية الفقهاء الأربعة المجتهدين، وهو عمل أتباعهم الأولين.

٥ ـ كما بيّنتُ منهجهم في العبادة، وأنهم يتبعون ولا يبتدعون، عملاً بأمر رسول الله ﷺ بالاتباع، ونهيه عن الابتداع.

وصلّى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





تضمين الطبيب في ضوء الشريعة الإسلامية

فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور خالد بن علي بن محمد المشيقح ۞

مُقَدِّمَة:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فإن لجسد المسلم وروحه حرمة عظيمة عند الله تبارك وتعالى، دلَّت آيات الكتاب العزيز وأحاديث النبي الكريم ﷺ عليها، فجاءت الأدلة آمرة بحفظ بدن المسلم وروحه، ومرغبة في ذلك ومحذرة من الاستخفاف بها، وتوعدت من سعى في هلاك الأرواح والأجساد بغير حق بشديد العذاب وأليمه، قال تعالى: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢]. وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾ [الأنعام: ١٥١].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قَالَ: « **لقد رأيت رجلاً يتقلب في الجنة في شجرة قطعها من ظهر الطريق كانت تؤذي الناس** ».(١)

۞ أستاذ في جامعة القصيم كلية الشريعة وأصول الدين. حصل على شهادة الدكتوراه من المعهد العالي للقضاء بالرياض، نال درجة أستاذ مشارك من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ودرجة أستاذ من جامعة الملك سعود بالرياض. طلب العلم الشرعي على الشيخ عبد الله بن إبراهيم القرعاوي، والشيخ محمد بن صالح العثيمين، والشيخ عبد الله غديان، وغيرهم. له مؤلفات كثيرة، منها: إخراج فقه الشيخ محمد بن عثيمين من الشرح الممتع، وتعليقات على كتاب الكافي في فقه أحمد مع الشيخ خالد المصلح، وغيرها.

(١) أخرجه مسلم (٢٦١٨) في كتاب البر والصلة، باب فضل إزالة الأذى عن الطريق.

وفي حديث ابن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قَالَ: « **لا يحل دم امرئ مسلم، يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة** ».[(١)]

ولما كانت الحاجة قائمة إلى التداوي والعلاج بالجراحة وغيرها، أذنت الشريعة الإسلامية للمريض، وأهل الاختصاص من الأطباء ومساعديهم، علاج المريض، والإقدام على فعل الجراحة الطبية اللازمة، والتي تشتمل في كثير من صورها على تصرفات مختلفة في أعضاء الإنسان ومنافعه، لكن الشريعة الإسلامية جعلت ذلك مقيَّداً بقواعد وضوابط على الطبيب أن يلتزم بها، وإلا كان مسؤولاً عما يحدث تحت يده من تلف للنفس، أو العضو، أو المنفعة.

ذلك أن الأطباء ومساعديهم بشر يعتريهم ما يعتري النفس البشرية الضعيفة، فقد يخرجون في بعض الأحيان عن القيود الشرعية، بتعدٍ أو تفريط، ويتجاوزونها معرضين أرواح الناس وأجسادهم للهلاك والتلف.

واعتنى فقهاء الشريعة ببيان القواعد والأصول العامة التي تتفرع عنها الأحكام المتعلقة بتضمين الطبيب.

وقد اشتمل هذا البحث على أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الطب في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: حالات تضمين الطبيب.

المطلب الثالث: خاتمة في ضوابط البحث.

وأسأل الله ﷻ التوفيق والسداد، وأن يجعل عملنا خالصاً صواباً، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب الأول: تعريف عنوان البحث لغةً واصطلاحاً.

وتحته مسائل:

المسألة الأولى: تعريف الضمان في اللغة، واصطلاح الفقهاء:

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٧٨) في كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ ... ﴾. ومسلم (١٦٧٦) في كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم.

قال ابن فارس: « الضاد والميم والنون أصل صحيح، وهو جعل الشيء في شيء يحويه، من ذلك قولهم: ضمنت الشيء إذا جعلته في وعائه، والكفالة تسمى ضماناً من هذا، لأنه إذا ضمنه استوعب ذمته ».[١]

فأصل مادة الضمان تعود إلى ما ذكره ابن فارس، وتتفرع إلى معانٍ منها:

الالتزام، كما نقول: ضمنت المال إذا التزمته.

ومنها: الكفالة بالشيء، وعلى الشيء.

ومنها: التغريم، كما تقول: ضمنته الشيء تضميناً إذا غرمته فالتزمه.[٢]

وفي اصطلاح الفقهاء يطلق الضمان على المعاني التالية:

- كفالة النفس عند جمهور الفقهاء، ولهذا يُعنَون للكفالة بالضمان.
- ضمان المال والتزامه بعقد، وبغير عقد.[٣]
- ويطلق أيضاً على وضع اليد على المال بحق أو بغير حق.
- ويطلق على غرامة المتلفات، والغصوب، والعيوب.
- وعلى ما أوجبه الشارع بسبب الاعتداءات كالكفارات ونحوها.

والمعنى المتعلق بعنوان البحث من هذه المعاني المعنى الرابع والخامس.

المسألة الثانية: التعريف اللغوي.

الطب بطاء مثلثة، يطلق في لغة العرب على معانٍ:

منها: علاج الجسم والنفس، يقال: طبَّه طبّاً، إذا داواه.[٤]

ومنها: الإصلاح، يقال: طببته إذا أصلحته.

ومنها: الحذق، وكل حاذق طبيب عند العرب.[٥]

ومنها: العادة، يقال: ليس ذلك بطبي، أي عادتي.

ومنها: السحر، يقال: رجل مطبوب، أي مسحور.

---

[١] معجم مقاييس اللغة (٦٠٣/٦)، مادة: ضمن.

[٢] لسان العرب (٢٥٧/١٣). والقاموس المحيط (٢٤٥/٤): مادة: ضمن.

[٣] انظر: اللباب شرح الكتاب (١٥٢/٢). والاختيار (١٦٦/٢). ومواهب الجليل (٩٦/٥). وروضة الطالبين (٤٧٣/٣). والإنصاف (١٨٩/٥).

[٤] لسان العرب (٥٥٣/١). وتاج العروس (٣٥١/١). والمصباح المنير (٣٦٨/٢): مادة: طبب.

[٥] الصحاح (١٧٠/١). ولسان العرب (٥٥٤/١): مادة: طبب.

ومنها: الدلالة على نية الإنسان وإرادته.[١]

والمعنى المتعلق من هذه المعاني بعنوان البحث هو المعنى الأول، وهو علاج الجسم والنفس... والله تعالى أعلم.

المسألة الثالثة: تعريف الطب في الاصطلاح:

اختلف الأطباء في بيان حد الطب الاصطلاحي على ثلاثة أقوال هي:

القول الأول: هو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان، من جهة ما يعرض لها من صحة وفساد.

ونسب هذا القول لقدماء الأطباء.[٢]

القول الثاني: هو علم يعرف منه أحوال بدن الإنسان من جهة ما يصح، ويزول عن الصحة ليحفظ الصحة حاصلة، ويستردها زائلة.

وهذا القول لابن سينا.[٣]

المسألة الرابعة: تعريف الطبيب:

وأما الطبيب فَعُرِّفَ بتعريفات متقاربة المعنى، منها: أنه الذي يعرف العلة، ودواءها وكيفية المداواة.[٤]

وقيل: هو العالم بالطب.[٥]

وقيل: هو الذي يعالج المرض[٦]، وغير ذلك.

وجمع الطبيب: أطباء وأطِبَّة، وجمع الأول جمع كثرة، والثاني جمع قلة.[٧]

المطلب الثاني: حالات تضمين الطبيب.

كلام الفقهاء ـ رحمهم الله ـ حول مسؤولية الطبيب وتضمينه، يمكن حصره في الأحوال الآتية:

---

[١] المصادر السابقة.

[٢] النزهة المبهجة في تشحيذ الأذهان وتعديل الأمزجة للأنطاكي (٣٤/١).

[٣] القانون في الطب لابن سينا (٣/١).

[٤] انظر: كلام ابن القيم الآتي صفحة: ، والطب النبوي لابن القيم (٤٩٥). ونيل الأوطار (٢٩٦/٥).

[٥] الصحاح (١٧٠/١)، مادة: طبب.

[٦] لسان العرب (٥٥٤/١).

[٧] الصحاح (١٧٠/١). والمطلع (٢٦٧).

الحالة الأولى: أن يكون الطبيب حاذقاً [١] قد أعطى الصنعة حقها، وألا تجني يده، فلا يتجاوز ما أذن له فيه.

ففي هذه الحالة باتفاق الأئمة[٢] لا يضمن الطبيب ما ترتب على مداواته من تلف العضو، أو النفس، أو ذهاب صفة.

وقد نقل الاتفاق على ذلك ابن القيم، حيث قال: « قلت: الأقسام خمسة:

أحدها: طبيب حاذق أعطى الصنعة حقها، ولم تجن يده، فتولّد من فعله المأذون فيه من جهة الشرع، ومن جهة من يطبّه تلف عضو، أو النفس، أو ذهاب صفة، فهذا لا

---

[١] الحذق والحذاقة: المهارة في كل عمل، قال الأزهري: تقول: حَذَقَ وحذِق في عمله يَحْذِق ويَحْذَق فهو حاذق ماهر. (تهذيب اللغة (٣٥/٤)، لسان العرب (٤٠/١٠): مادة: (حذق). وقد ذكر ابن القيم أن الطبيب الحاذق هو الذي يراعي في علاجه عشرين أمراً، وهي كما يلي: ١ ـ النظر في نوع المرض من أي الأمراض هو ؟ ٢ ـ النظر في سببه من أي شيء حدث، والعلة الفاعلة التي كانت سبب حدوثه ما هي ؟ ٣ ـ قوة المريض، وهل هي مقاومة للمرض، أو أضعف منه ؟ فإن كانت مقاومة للمرض مستظهرة عليه تركها والمرض، ولم يحرك بالدواء ساكناً. ٤ ـ مزاج البدن الطبيعي ما هو ؟ ٥ ـ المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي. ٦ ـ سن المريض. ٧ ـ عادته. ٨ ـ الوقت الحاضر من فصول السنة وما يليق به. ٩ ـ بلد المريض، وتربته. ١٠ ـ حال الهواء في وقت المرض. ١١ ـ النظر في الدواء المضاد لتلك العلة. ١٢ ـ النظر في قوة الدواء ودرجته، والموازنة بينها وبين قوة المريض. ١٣ ـ ألا يكون كل قصده إزالة تلك العلة فقط، بل إزالتها على وجه يأمن معه حدوث أصعب منها، فمتى كان إزالتها لا يأمن معها حدوث علة أخرى أصعب منها، أبقاها على حالها، وتلطيفها هو الواجب. ١٤ ـ أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من علاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره، ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عند تعذر الدواء البسيط. ١٥ ـ أن ينظر في العلة هل هي مما يمكن علاجها أو لا ؟ فإن لم يمكن علاجها حفظ صناعته وحرمته، ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئاً، وإن أمكن علاجها نظر هل يمكن زوالها أم لا ؟ فإن علم أنه لا يمكن زوالها نظر هل يمكن تخفيفها وتقليلها أم لا ؟ فإن لم يمكن تقليلها ورأى أن غاية الإمكان إيقافها وقطع زيادتها قصد بالعلاج ذلك، وأعان القوة وأضعف المادة. ١٦ ـ ألا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغ، بل يقصد إنضاجه، فإذا تم نضجه بادر إلى استفراغه. ١٧ ـ أن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، وكل طبيب لا يدواي العليل بتفقد قلبه وصلاحه بالصدقة، وفعل الخير والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيب، ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان، والذكر والدعاء والتضرع والابتهال إلى الله والتوبة، ولهذه الأمور تأثير في دفع العلل، وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن حسب استعداد النفس وقبولها، وعقيدتها في ذلك ونفعه. ١٨ ـ التلطف بالمريض، والرفق به، كالتلطف بالصبي. ١٩ ـ أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين. ٢٠ ـ وهو ملاك أمر الطبيب، أن يجعل علاجه وتدبيره دائراً على ستة أركان: حفظ الصحة الموجودة ورد الصحة المفقودة بحسب الإمكان، وإزالة العلة أو تقليلها بحسب الإمكان، واحتمال أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما، وتفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما. [زاد المعاد (١٤٢/٤ ـ ١٤٥)].

[٢] تبيين الحقائق (١٢٧/٥). مجمع الضمانات (٤٧). فتاوى قاضيخان (٣٣٧/٢ ، ٤٩٩/٤). حاشية رد المحتار (٦٨/٦ ـ ٦٩). بداية المجتهد (٢٣٣/٢). القوانين الفقهية (٣٤١). حاشية الدسوقي (٢٨/٤). الأم (١٦٦/٥). الفتاوى الفقهية الكبرى للهيثمي (٤١٨/٢ ـ ٤٢٠). أسنى المطالب (٤٢٧/٢). المغني (١٢٠/٦). المحرر (٣٥٨/١). الفروع (٤٥١/٤). المبدع (١١٠/٥). الإقناع (٣١٤/٢).

ضمان عليه اتفاقاً ».[١]

والدليل على ذلك:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. فدلت الآية الكريمة: أن الأصل في الضمان عدم وجوبه إلا على المعتدي، والطبيب إذا كان حاذقاً، ولم تجن يده، فليس بمعتدٍ.

٢ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال: « **من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن** ».[٢]

وجه الدلالة من الحديث: دلّ الحديث بمنطوقه على أن الطبيب إذا تطبب، وهو غير عالم بالطب فأخطأ يضمن، وبمفهومه على أن الطبيب إذا كان عالماً بالطب ولم يخطئ فإنه لا يضمن، سواء ما كان في النفس أو ما دونها.[٣]

٣ ـ ورد عن عمر وعلي رضي الله عنهما أن من تطبب على أحد من المسلمين ولم يكن بالطب معروفاً، فأصاب نفساً فما دونها فعليه دية ما أصاب.[٤]

وورد عن الزهري رحمه الله أنه قال: « إن كان البيطار أو المتطبب أو الختَّان غرّ من نفسه، وهو لا يحسن فهو كمن تعدّى يضمن، وإن كان معروفاً بالعمل بيده، فلا ضمان عليه إلا أن يتعدى ».[٥]

وهذا يدل على أنه أمر استقر العمل عليه عندهم، وأنهم أخذوه من الصحابة ﷺ.

٥ ـ أن الطبيب ونحوه مأمور بمداواة المرضى، ومأذون له فيه، فلم يكن عليه ضمان إذا لم يتعدّ[٦]، استناداً إلى القاعدة الشرعية: الجواز الشرعي أو الإذن الشرعي ينافي الضمان.[٧]

فالطبيب في هذه الحالة قد فعل فعلاً مأذوناً له فيه، فلم يضمن سرايته، قياساً

---

[١] زاد المعاد (١٣٩/٤).

[٢] رواه أبو داود (٤٥٨٦) في كتاب الديات، باب فيمن تطبّب بغير علم فأعنت، وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٣] ينظر فتاوى إمام المفتين ورسول رب العالمين ﷺ لابن القيم (٢٠٦).

[٤] انظر: الاستذكار لابن عبد البر (٥٤/٢٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

[٥] رواه عبد الرزاق في مصنفه (٤٧١/١٠)، وأورده ابن عبد البر في الاستذكار (٥٥/٢٥).

[٦] انظر: المنتقى للباجي (٧٧/٧). والمغني لابن قدامة (٥٣٨/٥). والأم للشافعي (١٨٦/٦).

[٧] انظر: الأشباه والنظائر لابن نجيم (٢٨٩).

على الحد.[١]

والقاعدة الفقهية: أن ما ترتب على مأذون غير مضمون.

٦ ـ أن المستحق على الطبيب عمل محدود، لا عمل غير سار، لأن ذلك ليس في مقدور البشر، وإنما الذي في مقدوره إقامة العمل على الوصف الذي علمه، فلا يضمن إلا أن يتجاوز الحد.[٢]

ويأتي في الحالة الخامسة: أن جمهور العلماء اشترطوا لعدم الضمان إذن المريض، أو وليه.

الحالة الثانية: ألا يكون الطبيب حاذقاً، بل يكون متطبباً جاهلاً.

وفيها أمران:

الأمر الأول: ألا يعلم المريض بعدم حذقه، بل ظن حذقه.

ففي هذه المسألة يضمن الطبيب باتفاق الأئمة[٣]، قال ابن القيم: « وكذلك إن وصف له دواءً يستعمله، والعليل يظن أنه وصفه لمعرفته وحذقه فتلف به ضمنه، والحديث ظاهر فيه، أو صريح ».

وقد نقل الخطابي الإجماع على ذلك، حيث قال: « لا أعلم خلافاً في المعالج إذا تعدّى فتلف المريض كان ضامناً، والمتعاطي علماً أو عملاً لا يعرفه متعدٍّ، فإذا تولد من فعله تلف ضمن الدية وسقط عنه القود، لأنه لا يستبدّ بذلك دون إذن المريض ».[٤]

وابن رشد، حيث قال: « ... ولا خلاف في أنه إذا لم يكن من أهل الطب أنه يضمن لأنه متعدٍّ ».[٥]

وقال ابن القيم: « إذا تعاطى علم الطب وعمله، ولم يتقدم له به معرفة، فقد هجم على إتلاف الأنفس، وأقدم بالتهور على ما لم يعلمه، فيكون قد غرر بالعليل،

---

(١) المغني (١١٧/٨). زاد المعاد (١٣٩/٤). المبدع (١١٠/٥). العدة (٢٧٠). كشاف القناع (٣٥/٤).

(٢) انظر: المبسوط للسرخسي (١٠/١٦ ـ ١١). والأم للشافعي (١٨٦/٦).

(٣) الأشباه والنظائر لابن نجيم (٢٩٠). الفتاوى الهندية (٤٩٩/٤). حاشية رد المحتار (٦٨/٦ ـ ٦٩). بداية المجتهد (٢٣٣/٢). القوانين الفقهية (٣٤١). حاشية الدسوقي (٢٨/٤). الفتاوى الفقهية الكبرى للهيثمي (٤١٨/٢ ـ ٤٢٠). حاشية قليبوي وعميرة (٧٨/٣). المغني (١١٧/٨). العدة (٢٧٠). زاد المعاد (١٤٠/٤). المبدع (١١٠/٥). الإقناع مع شرحه (٣٥/٥).

(٤) معالم السنن (٣٩/٤).

(٥) بداية المجتهد (٤١٨/٢).

فيلزمه الضمان لذلك، وهذا إجماع من أهل العلم ».[١]

والحجة في ذلك: الكتاب والسنة والمعقول:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. فدلّت الآية الكريمة أن الأصل في المتعدي وجوب الضمان، ويدخل في ذلك الطبيب إذا لم يكن حاذقاً.

٢ ـ عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قَالَ: « **من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن** ».[٢] وفي لفظ: « **أيّما طبيب تطبب على قوم لا يعرف له تطبب قبل ذلك فأعنت فهو ضامن** ».[٣] وفي لفظ آخر: « **من تطبب ولم يكن بالطب معروفاً، فأصاب نفساً فما دونها، فهو ضامن** ».[٤] وهذا الحديث واضح الدلالة.

قال ابن القيم: « وقوله ﷺ: « **من تطبب** » ولم يقل: من طبّ، لأن لفظ التفعل يدلّ على تكلف الشيء والدخول فيه بعسر وكلفة، وأنه ليس من أهله كتحلّم وتشجّع وتصبّر ونظائرها... ».[٥]

٣ ـ ما ورد عن عمر وعلي رضي الله عنهما: « من تطبب على أحد من المسلمين ولم يكن بالطب معروفاً، فأصاب نفساً فما دونها فعليه دية ما أصاب ».[٦]

٤ ـ أن الطبيب إذا لم يكن حاذقاً وعارفاً بالطب لم يحلّ له مباشرة العلاج بالقطع وغيره، وإذا فعل كان فعلاً محرماً، لعدم الإذن له بالفعل، فيضمن سرايته.[٧]

وفي قول الشافعية: إن الضمان على العاقلة.[٨]

الأمر الثاني: أن يعلم المريض أنه جاهل لا علم له، وأذن له في طبِّه، فظاهر

---

[١] الطب النبوي (٤٩٥).

[٢] تقدم تخريجه.

[٣] رواه أبو داود (٤٥٨٧) وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود.

[٤] رواه الدارقطني (٣٣٦) في كتاب الحدود والديات وغيره (١٩٦/٣)، وقال: « لم يسنده عن ابن جريج غير الوليد بن مسلم، وغيره يرويه عن ابن جريج عن عمرو بن شعيب مرسلاً عن النبي ﷺ ». والبيهقي في كتاب القسامة، باب ما جاء فيمن تطبب بغير علم فأصاب نفساً فما دونها (١٤١/٨).

[٥] زاد المعاد (١٣٨/٤). وانظر أيضاً: فتاوى إمام المتقين ورسول رب العالمين ﷺ لابن القيم (٢٠٦).

[٦] أورده ابن عبد البر في الاستذكار (٥٤/٢٥)، ولم أقف عليه مسنداً.

[٧] المغني (١١٧/٨). كشاف القناع (٣٥/٤).

[٨] روضة الطالبين (٣٩١/٧). ونهاية المحتاج (٣٥/٨).

إطلاق الفقهاء أنه يضمن.[١]

وقال ابن القيم: « لم يضمن ولا تخالف هذه الصورة ظاهر الحديث، فإن السياق وقوة الكلام يدل على أنه غرَّ العليل، وأوهمه أنه طبيب، وليس كذلك ». ا.هـ.[٢]

لكن يظهر لي ـ والله أعلم ـ أن الطبيب يضمن، لكونه متعدياً لعدم حذقه، وإذن المريض في مداواته غير معتبرة إذ بدن المريض أمانة عنده، لا يملك التصرف فيه إلا بحسب ما أذن له شرعاً، والشرع لا يأذن له أن يتداوى عند من يعرف عدم حذقه، لكن ما يضمنه الطبيب لا يعطى للمريض، لتفريطه بالإذن، بل يجعل في بيت المال، أو يتصدق به على الفقراء، مع الإثم لكل من الطبيب والمريض.

الحالة الثالثة: أن يكون الطبيب حاذقاً، وقد أذن له، وأعطى الصنعة حقها، لكنه أخطأ فأتلف نفساً، أو عضواً، أو منفعة.

وهذا تحته أمران:

الأمر الأول: أن يتعدى الطبيب، أو يفرط:

وضابط التعدي: فعل ما لا يجوز:

مثل: أن يزيد في قدر المواد المخدرة، أو يزيد المصور بالأشعة في قدر الجرعة الإشعاعية، أو يقطع في غير محل القطع، أو بآلة غير صالحة، أو وقت غير صالح، ونحو ذلك.

وضابط التفريط: ترك ما يجب.

مثل: أن يقتصر على بعض النظر في حالة المريض، أو بعض العلاج، أو يختار مخدراً ضعيف التأثير، ونحو ذلك، وهذا يضمن باتفاق الأئمة.[٣] لقوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. وهذا الطبيب ظالم لتعدِّيه أو تفريطه. ولحديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده السابق.

فإذا ضمن الجاهل فمن باب أولى أن يضمن العالم المتعدِّي، أو المفرّط.

---

[١] المصادر السابقة.

[٢] زاد المعاد (٤/١٣٩).

[٣] انظر: تكملة البحر الرائق (٨/٣٣). وتبصرة الحكام لابن فرحون (٢/٢٤٣). والأم (٥/١٦٦). وأسنى المطالب (٢/٤٢٧). والفروع (٤/٤٥٢).

وكذلك ما تقدّم من الآثار السابقة.

الأمر الثاني: أن لا يتعدّى أو يفرّط، لكن تخطئ[١] يده في أثناء العمل:

مثل: أن تزل يد الخاتن فيتجاوز بالختان موضع القطع، أو تتحرك يد الطبيب فتجرح موضعاً، أو يقطع شرياناً، أو تنحرف يد المصور فتسقط الأشعة على غير الموضع المراد تصويره، ونحو ذلك.

فاختلف العلماء في تضمين الطبيب على قولين:

القول الأول: أنه لا ضمان عليه. وهو قول للإمام مالك.[٢]

وقال ابن عقيل: « إن كان مشتركاً لم يضمن، وإن كان خاصاً ضمن ».[٣]

واختار بعض الحنابلة[٤]: إن كان مشتركاً ضمن، وإن كان خاصاً لم يضمن.[٥]

وحجة هذا القول:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٣]. والطبيب إذا كان حاذقاً في صنعته، فلا ضمان، لعدم تعدّيه.

٢ ـ حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده المتقدم: « **من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن** ».[٦]

وجه الدلالة: دلّ قوله ﷺ: « **وهو لا يعلم منه طب فهو ضامن** » أنه إذا علم منه طب فلا ضمان عليه، وهذا يشمل ما إذا أخطأ، أو لم يخطئ.

٣ ـ أنه مؤتمن على بدن المريض، والأصل عدم تضمن الأمين إلا بالتعدّي أو التفريط، دون الخطأ، كسائر الأمناء.

٤ ـ أن جناية الطبيب خطأ تابعة للإذن له في المداواة، ويثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.

٥ ـ أنه مأذون له في المداواة، وما ترتب على المأذون غير مضمون.

---

[١] الخطأ: هو ما ليس للإنسان فيه قصد. (التعريفات للجرجاني (٦٨)).

[٢] بداية المجتهد (٤١٨/٢).

[٣] الفروع (٤٥٢/٤).

[٤] الفروع (٤٥٢/٤).

[٥] الفروع (٤٥٢/٤).

[٦] تقدم تخريجه.

القول الثاني: أن الطبيب إذا كان حاذقاً وأخطأت يده، فإنه يضمن.

وهذا قول جمهور أهل العلم[١]، وحكاه ابن المنذر[٢]، وابن عبد البر[٣]،وكذا ابن رشد من المالكية إجماعاً.[٤]

قال ابن المنذر: « وأجمعوا على أن قطع الختان إذا أخطأ، فقطع الذكر والحشفة، أو بعضها، فعليه ما أخطأ به يعقله عنه العاقلة ».

لكن عند الحنفية: إن حصل بفعله هلاك ضمن نصف الدية، وإن لم يحصل بفعله هلاك ضمن جميع الدية.

جاء في المبسوط[٥]: « إلا أن يخالف ـ أي الختان ونحوه ـ بمجاوزة الحد أو يفعل بغير أمره، فيكون ضامناً حينئذ ».

وفي حاشية ابن عابدين[٦]: « فإن جاوز المعتاد ضمن الزيادة كلها إذا لم يهلك المجني عليه، وإن هلك ضمن نصف دية النفس، لتلفها بمأذون فيه وغير مأذون فيه ».

وفي بداية المجتهد[٧]: « وأجمعوا على أن الطبيب إذا أخطأ لزمته الدية، مثل أن يقطع الحشفة في الختان وما أشبه ذلك، لأنه في معنى الجاني خطأ ».

وفي نهاية المحتاج[٨]: « ولو أخطأ الطبيب في المعالجة وحصل منه التلف وجبت الدية على عاقلته ».

وفي المبدع[٩]: « فلو كان فيهم حذق الصنعة وجنت أيديهم ... وجبت الدية ».

---

[١] مجمع الضمانات (٤٧ ـ ٤٨). معين الحكام (٢٠٣). الفتاوى الهندية (٤٩٩/٤). بداية المجتهد (٢٣٣/٢ و ٤١٨). القوانين الفقهية (٣٤١). حاشية الدسوقي (٢٨/٤). الفتاوى الفقهية الكبرى للهيثمي (٤١٨/٢ ـ ٤٢٠). المغني (١٢٠/٨ ـ ١٢١). العدة (٢٧٠). زاد المعاد (١٤٠/٤). المبدع (١١٠/٥). الإقناع (٣١٤/٢ ـ ٣١٥).

[٢] الإجماع (٧٤).

[٣] الاستذكار (٥٥/٢٥).

[٤] بداية المجتهد (٤١٨/٢). وكذا الكاساني في بدائع الصنائع (٣٠٥/٧).

[٥] المبسوط للسرخسي (١١/١٦).

[٦] حاشية ابن عابدين (٧٢/٦).

[٧] بداية المجتهد لابن رشد (٤١٨/٢).

[٨] نهاية المحتاج للرملي (٣٥/٨).

[٩] المبدع لابن مفلح (١١٠/٥).

أدلة هذا القول:

١ ـ استدل الحنفية لتصنيف الدية في الهلاك بأن النفس هلكت بفعل مأذون فيه ـ وهو التطبيب ـ وفعل غير مأذون فيه وهو الهلاك، فيضمن ما تجاوز فيه ولم يؤذن له فيه.[١]

ونوقش: بأن ما لم يؤذن له فيه تابع لما أذن له فيه، فلا ضمان.

٢ ـ أنه قتل بغير حق، لأن حقه في قطع السلعة أو الحشفة مثلاً، وقد سرى إلى القتل، فيضمن، كما لو جنى خطأ.[٢]

٣ ـ ولأن الخطأ ما لم يقصده الفاعل ولم يرده وأراد غيره، وفعل الخاتن والطبيب في هذا المعنى.[٣]

ونوقش هذان الدليلان: بوجود الفرق، إذ الطبيب أمين قد أذن، بخلاف المخطئ.

٤ ـ أن جناية يد الطبيب إتلاف لا يختلف ضمانه بالعمد والخطأ، فيضمن، كإتلاف المال[٤]، إذ حق الآدميين مبني على المشاحة.

ويمكن أن يناقش: بوجود الفرق بين الخطأ في إتلاف المال،وخطأ الطبيب، بأن المتلف للمال لم يؤتمن عليه، بخلاف خطأ الطبيب فقد ائتمنه المريض عل بدنه، والأمين لا يضمن إلا إذا تعدّى أو فرّط كالمودع، والمضارب، ومستأجر العين.

٢ ـ أن جناية يد الطبيب فعل محرم، فيضمن سرايته، كالقطع ابتداءً.[٥]

ونوقش من وجهين:

الوجه الأول: بأنه لا يُسَلَّم بأن خطأ الطبيب محرم، لعدم تعمده، فلا إثم عليه.

الوجه الثاني: وجود الفرق بين القطع ابتداءً، وبين خطأ الطبيب، فمن قطع ابتداءً يضمن، لعدم ائتمانه على البدن، وأما خطأ الطبيب فيعفى عنه لائتمانه على البدن، والإذن له في المداواة، وما ترتب على المأذون غير مضمون، ويثبت تبعاً ما لا يثبت استقلالاً.

---

[١] حاشية ابن عابدين (٧٢/٦).

[٢] انظر: الهداية (مع فتح القدير) للمرغيناني (٢٥٩/١٠). وبداية المجتهد (٤١٨/٢).

[٣] الاستذكار لابن عبد البر (٥٣/٢٥).

[٤] المغني (١٢٠/٨ ـ ١٢١). العدة (٢٧٠). المبدع (١١٠/٥).

[٥] المغني (١٢١/٨). العدة (٢٧٠). المبدع (١١٠/٥ ـ ١١١). كشاف القناع (٣٥/٤).

٣ ـ أن الطبيب إذا جنت يده خطأ فهو في معنى الجاني خطأ، فيضمن.[١]

ونوقش هذا التعليل: بما نوقش به التعليل السابق.

الترجيح:

الذي يظهر رجحانه في هذه المسألة ـ والله أعلم بالصواب ـ هو القول الأول القائل بأن الطبيب إذا كان حاذقاً وجنت يده خطأ فإنه لا يضمن، لقوة ما استدلوا به، والإجابة عن أدلة الموجبين للضمان، لكن يقيد بما إذا ظهرت قرائن الاجتهاد والتحري من الطبيب، ولم تظهر منه قرائن التساهل والتفريط.

مسألة:

واختلف من قال بضمان الطبيب هل تحملها العاقلة عنه، أو تكون في ماله خاصة على قولين:

القول الأول: إن الطبيب إذا أخطأ فتلف بخطئه نفس فما دونها فعليه دية تحملها العاقلة عنه،وهذا قول جمهور العلماء، فهو مذهب أبي حنيفة[٢]، ومالك[٣]، والشافعي[٤]، وأحمد بن حنبل[٥] رحمهم الله، وبعض السلف[٦] رحمهم الله.

قال مالك[٧]: « الأمر المجتمع عليه أن الطبيب إذا ختن فقطع الحشفة أنّ عليه العقل، وأن ذلك من الخطأ الذي تحمله العاقلة ». وجاء في نهاية المحتاج[٨]: « ولو أخطأ الطبيب في المعالجة، وحصل منه التلف، وجبت الدية على عاقلته ».

وفي المبدع[٩]: « فلو كان فيهم حذق الصنعة، وجنت أيديهم، بأن تجاوز الختان

---

(١) بداية المجتهد (٤١٨/٢).

(٢) انظر: المبسوط للسرخسي (١١/١٦). الهداية (مع فتح القدير) للمرغيناني (٢٥٩/١٠). ولم أجد تصريحاً في كونها على العاقلة، لكن بالنظر إلى أن فعل الطبيب خطأ باعتبار قصده فيكون على العاقلة، وقد نسب ابن عبد البر إلى الحنفية كونها على العاقلة. انظر: الاستذكار (٥٣/٢٥).

(٣) انظر بداية المجتهد (٤١٨/٢). وتبصرة الحكام لابن فرحون (٢٣١/٢). والكافي لابن عبد البر (١١٠٦/٢).

(٤) روضة الطالبين للنووي (٣٩١/٧).

(٥) الفروع لابن مفلح (٤٥١/٤ ـ ٤٥٢). وشرح الزركشي (٢٤٩/٤). والمبدع (١١٠/٥). والبعلي (٢٢/٢).

(٦) كالليث: الاستذكار لابن عبد البر (٥٣/٢٥).

(٧) الموطأ (٦١٤).

(٨) نهاية المحتاج للرملي (٣٥/٨).

(٩) المبدع لابن مفلح (١١٠/٥ ـ ١١١).

إلى بعض الحشفة، أو تجاوز الطبيب بقطع السلعة موضعها، أو بآلة كآلة يكثر ألمها، وجبت... ». وحكى ابن أبي موسى: « إذا ماتت طفلة من الختان فديتها على عاقلة خاتنتها ».

أدلة هذا القول:

استدل من قال بأن دية ما أخطأ فيه الطبيب على العاقلة بما يأتي:

١ ـ الأحاديث التي تدل على ضمان الطبيب إذا أخطأ، ومنها حديث عمرو بن شعيب: « **من تطبب ولا يعلم منه طب فهو ضامن** ».[١]، والخطأ على العاقلة بالإجماع.[٢]

٢ ـ ما ورد أن ختّانة كانت بالمدينة ختنت جارية فماتت، فجعل عمر رضي الله عنه ديتها على عاقلتها.[٣]

٣ ـ أن هذا جرح أفضى إلى فوات الحياة في مجرى العادة، وهو مسمى القتل[٤]، ولا يكون عمداً لعدم قصد القتل فيه، ولا يكون شبه عمد أيضاً، لأنه لم يقصد جناية، وإنما قصد إصلاح المريض، فيكون خطأ، والخطأ تحمله العاقلة.

القول الثاني: إن الطبيب إذا أخطأ فتلف بخطئه نفس فما دونها وجب عليه ضمانها بالدية، وتكون في مال الطبيب، ولا تتحملها العاقلة، وهذا القول مروي عن عمر وعلي رضي الله عنهما[٥] وذكره بعض المالكية.[٦]

أدلة هذا القول:

١ ـ ما ورد عن عمر رضي الله عنه أنه ضمن رجلاً كان يختن الصبيان فقطع من ذكر الصبي فضمنه.[٧]

---

[١] سبق تخريجه.

[٢] الإجماع لابن المنذر (١٥١) ف (٧٠١).

[٣] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٧٠/٩)، برقم (١٨٠٤٥)، وابن أبي شيبة (٣٢٣/٩)، وإسناده صحيح.

[٤] الهداية (مع تكملة فتح القدير) للمرغيناني (٢٥٩/١٠).

[٥] الاستذكار لابن عبد البر (٥٣/٢٥ ـ ٥٥).

[٦] انظر: بداية المجتهد لابن رشد (٤١٨/٢). الاستذكار لابن عبد البر (٥٣/٢٥) ولم ينسبه لأحد، وكأن ابن عبد البر يميل إليه.

[٧] أخرجه عبد الرزاق في مصنفه (٤٧٠/٩) برقم (١٨٠٤٥).

مناقشة هذا الأثر:

نوقش بأنه قد ورد عن عمر ﷺ خلافه، فقد روى أبو المليح أن ختّانة كانت بالمدينة ختنت جارية، فماتت. فجعل عمر ﷺ ديتها على عاقلتها، وهذا الأثر أولى لموافقته للقياس، وهو أن الخطأ تحمله العاقلة.

٢ ـ ورد أن امرأة خفضت جارية فأعنتتها فماتت، فضمنها علي ﷺ الدية.[(١)]

ونوقش: بأنه ضعيف لا يثبت.

ويمكن أن يناقش أيضاً: بأنه يمكن حمله على أن علياً رضي الله عنه ضمنها الدية على عاقلتها، ونسبت إليها لأنها متسببة فيها، أو أنه ضمنها في مالها لكونها ليست من أهل المداواة.

الترجيح:

يترجح ـ والله أعلم ـ القول بأن ضمان خطأ الطبيب على العاقلة، لقوة ما استدلوا به، ولأن هذا هو الأصل في الديات، أن ما كان خطأ فتحمله العاقلة تخفيفاً على الجاني، ولأنه يكثر الخطأ في فعل الأطباء، فإيجاب الدية عليهم في أموالهم إجحاف بهم، وسدّ لباب التطبيب، لا سيّما المواضع التي يكون المريض فيها في حالة الخطر، فلا يقدم أحد على علاجه.

الحالة الرابعة: أن يكون الطبيب حاذقاً فيجتهد في وصف الدواء للمريض فيخطئ، إما في صرف علاج لا علاقة له بالمرض، أو في صرف كمية أكثر من الكمية اللازمة، أو نحو ذلك، فيتلف المريض، أو عضو من أعضائه، أو منفعة من منافعه.

وتأخذ هذه الحالة حكم الحالة السابقة.

الحالة الخامسة: أن يكون الطبيب حاذقاً، لكن يداوي المريض بلا إذن.

وتحته أمور:

الأمر الأول: أن يكون الطبيب غير متبرع.

إذا كان الطبيب غير متبرع بالمداواة، بل مستأجر، فلا بد من رضا المريض وأهليته للإذن بأن يكون بالغاً عاقلاً، فإن لم يكن أهلاً فلا بدّ من إذن وليه. إذ عقد

---

(١) ابن أبي شيبة (٣٢٢/٩) برقم (٧٦٤٥)، وفي إسناده سعيد بن يوسف، وهو ضعيف. انظر: التقريب (٣٠٩/١).

الإجارة يعتبر فيه رضا المتعاقدين، قال الله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَـٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ﴾ [النساء: ٢٩]. والإجارة تجارة.

ويعتبر فيه أهلية العاقد فلا يصح عقد الإجارة من الصبي والمجنون، لأنه محجور عليهما في تصرفاتهما المالية، والإجارة مشتملة على المعاوضة المالية.

وعلى هذا يضمن الطبيب ما حصل بمداواته من تلف باتفاق الأئمة.[١]

الأمر الثاني: أن يكون متبرعاً.

وقد اختلف الفقهاء في تضمينه في هذه الحالة على قولين:

القول الأول: إن الطبيب لا يضمن في هذه الحالة. وبه قال ابن حزم[٢]، واختاره ابن القيم[٣].

حجة هذا القول:

١ ـ قوله تعالى: ﴿ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ﴾ [التوبة: ٩١].

وجه الدلالة: أن الطبيب إذا عالج بدون إذن المريض أو وليه، ولم يتعدَّ في علاجه فهو محسن بفعله، فلا ضمان عليه.

٢ ـ قوله ﷺ: « **تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء** ».[٤]

فالطبيب ممثل لأمر الشرع بمداواته، ولو بغير إذنه.

٣ ـ أن الطبيب إذا عالج بدون إذن ولي المريض، فإنه إن كان متعدّياً، فلا أثر لإذن الولي في إسقاط الضمان، وإن لم يكن متعدّياً فلا وجه لضمانه.[٥]

القول الثاني: أن الطبيب إذا عالج بدون إذن المكلف، أو ولي غير المكلف، فإنه يضمن ما حصل بسبب مداواته من تلف.

---

[١] انظر: بدائع الصنائع (١٧٦/٤). وحاشية الدسوقي (٣/٤). وروضة الطالبين (١٧٣/٥). والمبدع (٨٩/٥).

[٢] المحلى (٤٤٤/١٠).

[٣] زاد المعاد (١٤١/٤).

[٤] أخرجه الإمام أحمد (٢٧٨/٤). وأبو داود (٣٨٥٥) في الطب، باب في الرجل يداوي. والترمذي (٢٠٣٨) في الطب، باب ما جاء في التداوي. وابن ماجه (٣٤٣٦) في الطب، باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء. وصححه الألباني رحمه الله تعالى.

[٥] زاد المعاد (١٤١/٤).

وهو قول جمهور أهل العلم.[١]

استدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١ ـ أن الطبيب إذا عالج بدون إذن المريض أو وليه، فإن ذلك يعدُّ تعدّياً على المريض، لعدم الإذن، فيضمن.[٢]

مناقشة هذا الدليل:

ناقشه ابن القيم بقوله: « قلت: العدوان وعدمه إنما يرجع إلى فعله هو، فلا أثر للإذن وعدمه فيه ».[٣]

٢ ـ أن الأصل إيجاب الضمان، فإذا أذن المكلف كان مسقطاً لحقه بذلك الإذن، وإذا لم يأذن بقي حكم الأصل الموجب للتضمين.[٤]

ونوقش: بعدم التسليم بأن الأصل إيجاب الضمان إلا إذا تعدّى الطبيب أو فرَّط في أثناء المداواة.

الترجيح:

الذي يظهر رجحانه في هذه المسألة ـ والله أعلم بالصواب ـ هو القول الأول القائل بأن الطبيب لا يضمن إذا عالج ولم يتعدَّ أو يفرِّط في علاجه سواء أذن له إذا كان متبرعاً أم لم يؤذن له، لقوة ما استدلوا به.

الأمر الثالث: ما يستثنى من اشتراط إذن المريض:

تقدم كلام أهل العلم ـ رحمهم الله ـ في حكم اشتراط إذن المريض للمداواة، لكن على القول باشتراط إذن المريض للمداواة يستثنى من ذلك ما يلي:

١ ـ إذا تعذر استئذان المريض، أو وليّه، وفي تأخير المداواة ضرر على المريض بتلف نفس، أو عضو أو منفعة.[٥] لإذن الشرع له بذلك، قال تعالى: ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ

---

[١] بدائع الصنائع (٣٠٥/٧). وتكملة البحر الرائق (٣٣/٨). والمنتقى للباجي (٧٧/٧). وتبصرة الحكام مع العقد المنظم للحكام (٨٠/٢). وروضة الطالبين (١٦٤/٩). ونهاية المحتاج (٣٥/٨). والمغني (٥٣٨/٥). والإنصاف (٧٥/٦).

[٢] تكملة البحر الرائق (٣٣/٨). وتبصرة الحكام مع العقد المنظم للحكام (٨٠/٢). وروضة الطالبين (١٦٤/٩). والإنصاف (٧٥/٦).

[٣] المغني (١٢١/٨). كشاف القناع (٣٥/٤).

[٤] المغني (١٢١/٨). وتحفة المودود (١٥٣).

[٥] أحكام الجراحة الطبية (٢٤٣).

﴿وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]. ولما روى أنس بن مالك ﷺ أن النَّبيّ ﷺ قَالَ: « **انصر أخاك ظالماً أو مظلوماً** ».[١]

ولأنه يغلب على الظن موافقة المريض لو علم بحاله، إذ الإنسان حريص على نجاة نفسه، وسلامة أعضائه.

٢ ـ إذا كان المرض من الأمراض المعدية التي يخشى تعدِّيها للغير، لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ومن القواعد الفقهية: لا ضرر ولا ضرار، والضرر يزال.[٢]

المطلب الرابع: خاتمة في ضوابط البحث.

من خلال الدراسة السابقة لكلام العلماء حول تضمين الطبيب أخلص إلى الضوابط الآتية:

الضابط الأول: إذا كان الطبيب حاذقاً، ولم تجن يده، فتلف بمداواته نفس، أو عضو، أو منفعة، فلا ضمان عليه.

الضابط الثاني: إذا كان الطبيب جاهلاً، ولم يعلم المريض بجهله، فتلف بمداواته نفس، أو عضو، أو منفعة ضمن.

الضابط الثالث: إذا كان الطبيب جاهلاً، وعلم المريض بجهله، فتلف بمداواته نفس، أو عضو، أو منفعة، ضمن، ويكون الضمان في بيت المال، أو يتصدق به على الفقراء.

الضابط الرابع: إذا كان الطبيب حاذقاً، فتعدَّى أو فرَّط، فتلف بمداواته نفس، أو عضو، أو منفعة ضمن.

الضابط الخامس: إذا كان الطبيب حاذقاً، ولم يتعدَّ ولم يفرِّط، لكنه أخطأ، فتلف بمداواته نفس، أو عضو، أو منفعة، لم يضمن، إذا ظهرت منه قرائن الاجتهاد والتحري، دون التساهل، وإلا ضمن.

الضابط السادس: إذا كان الطبيب حاذقاً، ولم يؤذن له، فتلف بمداواته نفس،

---

[١] أخرجه البخاري (٢٤٤٣) في كتاب المظالم، باب أعِن أخاك ظالماً أو مظلوماً.

[٢] الأشباه والنظائر لابن نجيم (٨٥). والأشباه والنظائر للسيوطي (٨٣).

أو عضو، أو منفعة، فلا يضمن، إلا إذا كان غير متبرع، فيضمن.

الضابط السابع: يستثنى من اشتراط إذن المريض أو وليّه، إذا تعذّر الاستئذان، وكان في التأخير ضرر المريض بتلف نفس، أو عضو، أو منفعة، أو كان المرض معدياً.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه أجمعين.





أوجز البيان في سيرة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه

فضيلة الشيخ زياد بن محي الدين الرفاعي ۞

الحمد لله حمداً كثيراً كما أمر، والصلاة والسلام على خير البشر، أتانا بشيراً ونذيراً، فبشرنا بالجنة، وأنذرنا من النار، وقال لنا عن ربّه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١ ﴾ [الذاريات: ٥٠ ـ ٥١].

مُقَدِّمَة:

فإنَّ من أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة محبة أصحاب النبي ﷺ، وعدم سبِّ أحد منهم، وحفظ وصيته فيهم. قال ﷺ: « **لا تسبّوا أحداً من أصحابي** ».[(١)]

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: « وإيّاك شتم أحد من أصحاب محمد ﷺ فيكبّك الله في النار على وجهك ».[(٢)]

وقال التابعي شهاب بن خراش: « أدركت من أدركت من صَدَرَة هذه الأمة وهم يقولون: اذكروا مجلس أصحاب رسول الله ﷺ ما تأتلف عليه القلوب، ولا تذكروا الذي

۞ عضو هيئة التدريس بمعهد الإمام البخاري للشريعة الإسلامية، وخطيب مسجد تل الزفير، يرأس جمعية تجمع سنابل الخير في منطقة عكار ـ شمال لبنان ـ.

(١) أخرجه البخاري (٣٦٧٣) في كتاب فضائل الصحابة، باب قول النبي ﷺ: « **لو كنت متخذاً خليلاً** ». ومسلم (٢٥٤١) في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب تحريم سبّ الصحابة ﷺ.

(٢) أخرجه اللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة (٤/٦٣٣).

شجر بينهم فتحرّشوا عليهم الناس ».[١]

وقال أبو الحسن الأشعري: « ونتولى سائر أصحاب النبي ﷺ ونكفّ عما شجر بينهم ».[٢]

وقال الغزالي: « واعتقاد أهل السنة تزكية جميع الصحابة ﷺ والثناء عليهم، وما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما كان مبنيّاً على الاجتهاد ».[٣]

اسمه ونسبه وكنيته ومولده:

هو معاوية بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كلاب ملك الإسلام أبو عبد الرحمن القرشي الأموي المكي.[٤]

وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب.[٥]

وأخته أم حبيبة رملة بنت أبي سفيان من أبيه وهي أم المؤمنين رضي الله عنها.

قال الذهبي عنها: « وهي من بنات عم الرسول ﷺ وليس في أزواجه من أكرم نسباً إليه منها ».[٦]

ولد قبل البعثة بخمس سنين، وقيل: بسبع، وقيل: بثلاثة عشر. والأول هو الأشهر.[٧]

يلتقي مع النبي ﷺ بالنسب بجده عبد شمس، وكان رجلاً طويلاً أبيضاً جميلاً مهيباً، فهذا أبو سفيان ينظر إليه وهو يحبو فيقول لأمه: « إنّ ابني هذا عظيم الرأس، وإنه لخليق أن يسود قومه، فقالت هند: قومه فقط ؟ ثكلته إن لم يسد العرب قاطبة ».[٨]

---

(١) سير أعلام النبلاء (٢٨٥/٨) للحافظ الذهبي.
(٢) تبيين كذب المفتري (ص ١٦١) لابن عساكر.
(٣) إحياء علوم الدين (١١٥/١) لأبي حامد الغزالي.
(٤) سير أعلام النبلاء (١٢٠/٣) للحافظ الذهبي.
(٥) سير أعلام النبلاء (١٢٠/٣) للحافظ الذهبي.
(٦) سير أعلام النبلاء (٢١٩/٣) للحافظ الذهبي.
(٧) الإصابة (١٥١/٦) للحافظ ابن حجر العسقلاني.
(٨) البداية والنهاية (٥١٣/٨) للحافظ ابن كثير.

إسلامه:

ذكر ابن كثير في البداية والنهاية أنه رضي الله عنه قال: « أسلمت يوم القضية ـ أي عمرة القضاء سنة ٧ هـ ـ ولكن كتمت إسلامي من أبي، ثم علم بذلك فقال لي: هذا أخوك يزيد هو خير منك على دين قومه. فقلت له: لم آلُ نفسي جهداً، ولقد دخل رسول الله ﷺ مكة في عمرة القضاء وإني لمصدق به، ثم لما دخل عام الفتح أظهرت إسلامي فجئته فرحّب بي وكتبت بين يديه ».(١)

وذكر ابن حجر أنه أسلم مع أبيه وأخيه يزيد رضي الله عنه عام الفتح.(٢)

وشارك مع النبي ﷺ في غزوة حنين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: « ومعاوية من الذين شهدوا غزوة حنين، وكان من المؤمنين الذين أنزل الله سكينته عليهم مع النبي ﷺ ».(٣)

قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [التوبة: ٢٦]. وقال تعالى: ﴿ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾ [الحديد: ١٠]. ومعاوية رضي الله عنه ممن وعدهم الله الحسنى، فإنه أنفق في حنين والطائف وقاتل فيهما.(٤)

أحاديث في فضله رضي الله عنه:

عن عبد الرحمن بن أبي عميرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال لمعاوية رضي الله عنه: « **اللهم اجعله هادياً مهدياً واهدِ به** ».(٥)

وقال ﷺ في دعائه لمعاوية رضي الله عنه: « **اللهم علـم معاوية الكتاب والحساب وقِهِ العذاب** ».(٦)

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه عن خالته أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: نام

(١) البداية والنهاية (٥١٢/٨) للحافظ ابن كثير.

(٢) الإصابة (٤٣٣/٣) للحافظ ابن حجر العسقلاني.

(٣) مجموع الفتاوى (٤٥٨/٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٤) مجموع الفتاوى (٤٩٥/٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٥) أخرجه الترمذي (٣٨٤٢) وصححه الألباني في صحيح الترمذي وفي السلسلة الصحيحة (١٩٦٩).

(٦) حسن بالشواهد. انظر كلام الذهبي في السير (١٢٤/٣) وموارد الظمآن للهيثمي تحقيق حسين الداراني (٢٤٩/٧).

النبي ﷺ يوماً قريباً مني، ثم استيقظ يبتسم، فقلت: ما أضحكك ؟ قال: « **أناس من أمتي عرضوا علي، يركبون هذا البحر الأخضر، كالملوك على الأسرة** ». قالت: فادعُ الله أن يجعلني منهم، فدعا لها، ثم نام الثانية، ففعل مثلها، فقالت مثل قولها، فأجابها مثلها، فقالت: ادعُ الله أن يجعلني منهم، فقال: « **أنت من الأولين** ». فخرجت مع زوجها عبادة بن الصامت رضي الله عنه غازياً، أول ما ركب المسلمون البحر مع معاوية، فلما انصرفوا من غزوهم قافلين فنزلوا الشام، فقربت إليها دابة لتركبها فصرعتها فماتت.[١]

قال ابن حجر قوله ﷺ: « **ناس من أمتي عرضوا علي غزاة** ». يشعر بأن ضحكه كان إعجاباً بهم وفرحاً لما رأى لهم من المنزلة الرفيعة.[٢]

وما أخرجه البخاري من طريق حرام بنت ملحان رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **أول جيش من أمتي يغزون البحر قد أوجبوا** ».[٣]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت ألعب مع الصبيان فجاء رسول الله ﷺ، فتواريت خلف الباب، قال: فجاء فحطأني حطأة وقال: « **اذهب وادعُ لي معاوية** ». قال: فجئت، فقلت: هو يأكل، قال: ثم قال لي: « **اذهب فادعُ لي معاوية** ». قال: فجئت فقلت: هو يأكل، فقال: « **لا أشبع الله بطنه** ».[٤]

قال النووي معلقاً على هذا الحديث: « وقد فهم مسلم رحمه الله من هذا الحديث أن معاوية رضي الله عنه لم يكن مستحقاً للدعاء عليه، فلهذا أدخله في باب من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة، وجعله غيره من مناقب معاوية رضي الله عنه لأنه في الحقيقة يصير دعاءً له ».[٥]

فعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **إنما أنا بشر، وإني اشترطت على ربي عزّ وجل: أي عبد من المسلمين سببته أو شتمته أن يكون ذلك له زكاة**

---

[١] أخرجه البخاري (٢٧٩٩) في كتاب الجهاد والسير، باب فضل من يصرع في سبيل الله فمات فهو منهم. ومسلم (١٩١٢) في كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر.

[٢] فتح الباري (٧٦/١١).

[٣] أخرجه البخاري (٢٩٢٤) في كتاب الجهاد والسير، باب ما قيل في قتال الروم.

[٤] أخرجه مسلم (٢٦٠٤) في كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة.

[٥] شرح صحيح مسلم (١٦٥/١٦).

وأجراً ».[١]

ولهذا قال الذهبي معلقاً: لعل أن يقال: هذه منقبة لمعاوية ﷺ، لقوله ﷺ: « **اللهم من لعنته أو سببته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة** ».[٢]

وقال ابن عساكر عن حديث: « **لا أشبع الله بطنه** ». أصح ما روي في فضل معاوية ﷺ.[٣]

وقال الشيخ الألباني رحمه الله: « قد يستغل بعض الفرق هذا الحديث ليتخذوا منه مطعناً في معاوية ﷺ، وليس فيه ما يساعدهم على ذلك، كيف وفيه أنه كان كاتب النبي ﷺ ».[٤]

وكان معاوية ﷺ يكتب الوحي لرسول الله ﷺ.[٥] وكذا رسائل النبي ﷺ إلى زعماء القبائل.[٦] وذلك عندما طلب أبو سفيان ﷺ من النبي ﷺ ذلك.[٧]

فمن ينظر إلى المكانة التي وصل إليها في فترة وجيزة في الدولة الإسلامية الأولى مع أنه يوجد من يكتب للنبي ﷺ الوحي، وإلى القبائل والملوك، يعلم أن النبي ﷺ دعا له.

وقيل في: « **لا أشبع الله بطنه** ». أنها كلمة جرت على عادة العرب نحو: قاتله الله ما أكرمه، ويل أمه وأبيه ما أجوده، مما لا يراد معناه.[٨]

وبذلك تتعدد فضائله في صدر الدولة الأولى في عهد النبي ﷺ وخاصة كاتباً للوحي وللقبائل. وصهره من أخته أم المؤمنين رملة بنت أبي سفيان وخال المؤمنين.

قال الخلال: إن أبا الحارث قال: « وجهنا رقعة إلى أبي عبد الله ـ أحمد بن حنبل ـ ما تقول رحمك الله فيمن قال: لا أقول إن معاوية كاتب الوحي ولا أقول إنه خال المؤمنين فإنه أخذها بالسيف غصباً ؟ قال: هذا قول سوء رديء، يجانبون هؤلاء القوم ولا يجالسون

---

[١] أخرجه مسلم (٦٦٠٢) في كتاب البر والصلة والآداب، باب من لعنه النبي ﷺ أو سبَّه أو دعا عليه وليس هو أهلاً لذلك كان له زكاة وأجراً ورحمة.

[٢] .سير أعلام النبلاء (١٣٠/١٤) للحافظ الذهبي.

[٣] تاريخ دمشق (٢٤/٦٢) لابن عساكر.

[٤] راجع السلسلة الصحيحة للعلامة الألباني رحمه الله (١٦٥/١).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥١٢/٨).

[٦] الإصابة للحافظ ابن حجر العسقلاني (٤٣٤/٣).

[٧] انظر صحيح مسلم (٢٥٠١) كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي سفيان بن حرب ﷺ.

[٨] الناهية عن طعن أمير المؤمنين معاوية ﷺ (ص ٦٩).

ونبيّن أمرهم للناس ».[١]

وجندي في الجيش مشاركاً في حنين وتبوك وغيرها، وحاضراً لعام الوفود وثابتاً على دين الله يوم أن ارتدّ البعض في حياة رسول الله ﷺ وما بعدها. وحافظاً لحديث رسول الله ﷺ وروى عنه مائة وثلاثة وستين حديثاً[٢]، واتفق له البخاري ومسلم على أربعة أحاديث، وانفرد البخاري بأربعة أحاديث ومسلم بخمسة.[٣] وهو الذي روى عن النبي ﷺ: « **من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار** ».[٤]

معاوية رضي الله عنه في عهد الخلفاء رضي الله عنهم:

في عهد أبي بكر رضي الله عنه:

لم يظهر لمعاوية رضي الله عنه في عهده عمل يتولاه بشخصه إلا أنه كان مع جند بني أمية في قتال المرتدين بطلب من الخليفة ـ إذ أن التاريخ لا يذكر أن أحداً من بني أمية ارتدّ عن الدين بعد وفاة رسول الله ﷺ ولذلك كان أول كتاب كتبه أبو بكر رضي الله عنه بشأن حروب الردة إلى عامله على مكة عتاب بن أُسيد الأموي حيث كتب إليه بالركوب إلى من ارتدّ من أهل عمله، بمن ثبت على الإسلام، فواجههم إلى تهامة حتى ظفر بهم.[٥]

وشاركوا في حروب أهل الردة في اليمن وضد مسيلمة الكذاب. وشهد هذه المعركة معاوية رضي الله عنه.[٦]

وبعد حروب الردة وجّه الصديق أربعة جيوش إلى الروم، جعل على قيادة أحدها يزيد بن أبي سفيان، ومشى تحت ركابه يسايره ويودعه ويوصيه، وما ذلك إلا لشرفه، وكمال دينه.[٧] ثم أتبع الصديق بأناس آخرين يرغبون في الجهاد وألحقهم بجيش يزيد

---

[١] السنة للخلال (٣/٤٣٤).

[٢] أسماء الصحابة الرواة لابن حزم (ص ٥٥).

[٣] سير أعلام النبلاء (٣/١٦٢).

[٤] انظر سنن الترمذي كتاب العلم، باب ما جاء في تعظيم الكذب على رسول الله ﷺ. والحديث متواتر أخرجه البخاري (١١٠) في كتاب العلم، باب إثم من كذب على النبي ﷺ. ومسلم (٣) في مقدمة صحيحه، باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.

[٥] تاريخ الطبري (٣/٣١٩).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١١/٥١٢).

[٧] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١/٣٢٨).

وجعل معاوية بن أبي سفيان أميراً عليهم.[١]

في عهد عمر رضي الله عنه:

انتقل أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى جوار ربه والأمة كلها في جهاد ونشر للتوحيد وخلفه الفاروق رضي الله عنه فأتمَّ هذه المهمة في رفع الراية في سبيل الله، ولذلك كان اختبار الرجال في هذا الميدان عظيم، إذ أنهم لا يسلمون الراية إلا لمن يثقون بدينه أولاً، لأن النصر من عند الله، ويثقون برأيه ثانياً لأن الحرب خدعة.[٢] كما بيّن رسول الله صلى الله عليه وسلم. فأرسل عمر رضي الله عنه إلى يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما ليجهز جيشاً بإمرة معاوية رضي الله عنه إلى قيسارية فجاء كتابه: أما بعد، فقد وليتك قيسارية فسر إليها واستنصر الله عليهم، وأكثر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، الله ربنا وثقتنا ورجاؤنا ومولانا فنعم المولى ونعم النصير. فسار إليها وحاصرها، وزاحفه أهلها مرات عديدة، فلم ييأس حتى فتح الله على يديه وكان فتحه كبيراً، فقد قتل منهم ما يقرب من ثمانين ألفاً وكمل المائة ألف الذين انهزموا عن المعركة. وبعث بالفتح والأخماس إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه.[٣]

وفي عام الثامن عشر من الهجرة وقع على المسلمين في بلاد الشام طاعون عمواس[٤] فأخذ الموت بأكثر من عشرين ألفاً وكان منهم القادة رضي الله عنهم أبو عبيدة عامر بن الجراح ومعاذ بن جبل ويزيد بن أبي سفيان. فولّى عمر رضي الله عنه معاوية رضي الله عنه عمل أخيه، دمشق وبعلبك والبلقاء.[٥] وحين عزَّى عمرُ أبا سفيان في وفاة يزيد قال: يا أمير المؤمنين من وليت مكانه ؟ قال: أخوه معاوية. قال: وصلت رحماً.[٦] ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام، تلقاه معاوية رضي الله عنه في موكب عظيم وهيئة فلما دنا منه قال: أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال: نعم، قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: نعم. قال: ولم تفعل

---

(١) تاريخ الطبري (٣/٣٩١).

(٢) أخرجه البخاري (٣٠٣٠) في كتاب الجهاد والسير، باب الحرب خدعة. ومسلم (١٧٣٩) في كتاب الجهاد والسير، باب جواز الخداع في الحرب.

(٣) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٧/٥٨). بتصرف.

(٤) سمي بذلك نسبة إلى بلدة صغيرة يقال لها عمواس، كان أول ما نجم الداء بها، وهي بين القدس ورملة.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٧/٤٠٦).

(٦) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٥١٣).

ذلك ؟ قال: نحن في أرض جواسيس، العدو بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت. قال: يا معاوية ! ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً فإنه لخدعة أديب. قال: فمرني. قال: لا آمرك ولا أنهاك. فقيل: يا أمير المؤمنين ما أحسن ما صدر عمَّا أوردته. قال: لحسن مصادره وموارده جشمناه ما جشمناه.[1] ثم جمع عمر رضي الله عنه الشام كلها لمعاوية رضي الله عنه.[2]

في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

حينما جاء إلى الخلافة كان معاوية رضي الله عنه والياً على معظم الشام فأقره عليها.[3] وضمَّ إلى معاوية رضي الله عنه بعض المناطق الأخر حتى أصبح الوالي المطلق على بلاد الشام، بل أصبح أقوى ولاة عثمان رضي الله عنه، وأشدّهم نفوذاً[4]، وذلك بعد سنين من خلافته رضي الله عنه.[5] وبعد أن قاتل في البر وقاد كثيراً من المعارك بنفسه حتى وصل إلى مضيق القسطنطينية وأمَّن الثغور، نشط إلى البحر من جديد، فراسل عثمان بذلك وألحَّ عليه، فردّ عليه الخليفة، أن قد شهدت ما ردّ عليك عمر حين استأذنته في غزو البحر. فإذا ركبت معك امرأتك فاركبه مأذوناً وإلاَّ فلا. واشترط عليه الخليفة بقوله: لا تنتخب الناس، ولا تقرع بينهم، خيّرهم، فمن اختار الغزو طائعاً فاحمله وأعِنه.[6] فلما وصل إليه الأمر أعدّ المراكب اللازمة لحمل الجيش الغازي، واتخذ ميناء عكا مكاناً للإبحار، وكانت معه زوجه فاختة بنت قرظة، كما حمل عبادة بن الصامت امرأته أمّ حرام بنت ملحان معه في تلك الغزوة.[7] ونصر الله عباده، وصالح معاوية رضي الله عنه أهل قبرص على سبعة آلاف دينار كل سنة، وكان ذلك سنة ثمان وعشرين للهجرة. ثم نكثوا عهدهم فقاتلهم وصالحهم على العهد الأول وترك فيها الحامية الإسلامية من عشرة آلاف إلى اثني عشرة ألفاً وبنى بها

---

[1] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٣/٣).

[2] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٢/٣).

[3] تاريخ خليفة بن خياط (ص ١٥٥).

[4] تاريخ الطبري (٤٤٢/٥).

[5] تاريخ الطبري (٤٤٣/٥).

[6] تاريخ الطبري (٢٦٠/٥).

[7] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٥٩/٧).

المسجد وأجرى لهم أرزاقهم.

الخلاف بين أبي ذر ومعاوية رضي الله عنهما:

وفي عام ثلاثين للهجرة وقع الخلاف بين معاوية أمير الشام وأبي ذر رضي الله عنهما في كلام لم يكن يقوله في زمان عمر ﷺ، ويقرّع عمال عثمان ويتلو عليهم قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة: ٣٤]. ويراهم يتسعون في المراكب والملابس حين وجدوا. فينكر ذلك عليهم، ويريد تفريق جميع ذلك من بين أيديهم. وقال ابن عمر وغيره من الصحابة ﷺ هو غير لازم، إن ما أديت زكاته فليس بكنز. فأعلم معاوية عثمان بذلك وخشي من العامة أن تثور منهم فتنة، فإن أبا ذر ﷺ كان يحملهم على التزهد وأمور لا يحتملها الناس كلهم، وإنما هي مخصوصة ببعضهم. فكتب إليه عثمان أن يقدم المدينة.[1]

موقف معاوية ﷺ في الفتنة:

وفي عام ثلاث وثلاثين سيّر أمير المؤمنين عثمان ﷺ جماعة من قراء أهل الكوفة إلى الشام، وكان سبب ذلك أنهم تكلموا بكلام قبيح في مجلس سعيد بن عامر. فكتب إلى عثمان في أمرهم، فكتب إليه عثمان أن يجليهم عن بلده إلى الشام وكتب عثمان إلى معاوية أن أنزلهم وأكرمهم وتألفهم. فلما قدموا إليه أنزلهم وأكرمهم، واجتمع بهم ووعظهم ونصحهم فيما يعتمدونه من اتباع الجماعة وترك الانفراد والابتعاد، فأجابه متكلمهم بكلام فيه بشاعة وشناعة فاحتملهم معاوية لحلمه، ثم بذل لهم النصح مرة أخرى فإذا هم يتمادون في غيهم، ويستمرون على جهالتهم وحماقتهم، فعند ذلك أخرجهم من بلده ونفاهم عن الشام لئلا يشوشوا عقول الطغام، وذلك أنه كان يشتمل مطاوي كلامهم على القدح في قريش كونهم فرطوا وضيعوا ما يجب عليهم القيام فيه من نصرة الدين وقمع المفسدين، وإنما يريدون بهذا التنقص والعيب ورجم الغيب وكانوا يشتمون عثمان أمير المؤمنين وسعيد بن العاص أمير الكوفة، وهم كميل بن زياد، والأشتر النخعي واسمه مالك بن يزيد، وعلقمة بن قيس النخعيان، وثابت بن قيس

---

[1] العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (ص ٨٦ ـ ٨٨).

النخعي، وجندب بن زهير العامري، وجندب بن كعب الأزدي، وعروة بن الجعد، وعمر ابن الحمق الخزاعي.[١]

فكتب معاوية عن حالهم إلـى أمـير المؤمنين قائلاً: بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله عثمان أمير المؤمنين، أما بعد: فإنك بعثت إليَّ أقواماً يتكلمون بألسنة الشياطين وما يملون عليهم، ويأتون الناس ـ زعموا ـ من قبل القرآن فيشبهون على الناس، وليس كل الناس يعلم ما يريدون، وإنما يريدون فرقةً ويقربون فتنةً، قد أثقلهم الإسلام وأضجرهم، وتمكنت رقى الشيطان من قلوبهم، فقد أفسدوا كثيراً من الناس ممن كانوا بين ظهرانيهم من أهل الكوفة، ولست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم وفجورهم، فارددهم إلى مصرهم، فلتكن دارهم في مصرهم الذي نجم فيه نفاقهم.[٢]

مشورة معاوية لعثمان رضي الله عنهما في أهل الفتنة:

بعث عثمان ﷺ إلى ولاة الأمصار لدراسة أسباب الفتنة ومحاولة علاجها، وكانوا: عبد الله بن عامر، ومعاوية بن أبي سفيان، وعبد الله بن سعد، وأدخل معهم في المشورة سعيد بن العاص وعمرو بن العاص، وهم من الولاة السابقين، وقال فيه كل المشاركين برأيه، وكان رأي معاوية: أشير عليك أن تأمر أمراء الأجناد فيكفيك كل رجل منهم ما قبله، وأكفيك أنا أهل الشام.[٣] ومنع عثمان الولاة من التنكيل بمثيري الشغب، وحبسهم، أو قتلهم، وقرَّر أن يعلّمهم بالحسنى واللين.

وقبل أن يتوجه معاوية إلى الشام أتى عثمان، وقال له: يا أمير المؤمنين انطلق معي إلى الشام قبل أن يهجم عليك من الأمور والأحداث ما لا قبل لك بها. قال عثمان: أنا لا أبيع جوار رسول الله ﷺ بشيء وإن كان فيه قطع خيط عنقي. قال له معاوية: إذاً أبعث إليك جيشاً من الشام يقيم في المدينة لمواجهة الأخطار المتوقعة، ليدافع عنك وعن أهل المدينة. قال عثمان: لا حتى لا أقتر على جيران رسول الله ﷺ الأرزاق بجند تساكنهم، ولا أضيق على أهل دار الهجرة والنصرة. قال معاوية: يا أمير المؤمنين والله لتُغتلنَّ أو لتُغزينَّ

---

[١] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (١٧٨/٧).
[٢] تاريخ الطبري (٣٣١/٥).
[٣] تاريخ الطبري (٣٥١/٥).

قال عثمان: حسبي الله ونعم الوكيل.[١]

ولقد حدث كل ما توقعه معاوية، ولم يكن في هذه الفتنة أحد من أهل الشام.

في عهد علي بن أبي طالب ﷺ:

ولمَّا تسلم علي ﷺ الخلافة قام بعزل جميع الولاة المعينين من قبل عثمان واستبدلهم بغيرهم. هذا وقد اختار مكان معاوية في أول الأمر عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما، فأبى عليه قبول ولاية الشام واعتذر من ذلك، وذكر له القرابة والمصاهرة التي بينهم[٢] ثم خرج ليلاً إلى مكة[٣] ثم أرسل سهيل بن حنيف بدلاً منه، إلا أنه ما كاد يصل مشارف الشام حتى أخذته خيل معاوية وقالوا له: إن كان بعثك عثمان فحيَّ وهلا بك، وإن كان بعثك غيره فارجع.[٤] ثم وصل النعمان بن بشير ومعه قميص عثمان مضمخ بالدماء، ومعه أصابع نائلة التي قطعت حين دافعت بيدها عنه ﷺ. وبذلك يكون أهل الشام ومعاوية لم يبايعوا لأمير المؤمنين علي ﷺ.[٥] وكانت أسباب عدم البيعة تباين المواقف بينهما: فهؤلاء ـ أي أهل العراق ـ يدعون إلى عليّ بالبيعة وتأليف الكلمة على الإمام، وهؤلاء ـ أي أهل الشام ـ يدعون إلى التمكين من قتلة عثمان ويقولون: لا نبايع من يأوي القتلة.[٦] وأما من قال أن سبب عدم البيعة أن معاوية ﷺ يريدها لنفسه فليس بصحيح، وفي هذا يقول الهيثمي: ومن اعتقاد أهل السنة والجماعة أن ما جرى بين معاوية وعلي رضي الله عنهما من الحروب، لم يكن لمنازعة معاوية لعلي في الخلافة، للإجماع على أحقيتها لعليّ، فلم تهج الفتنة بسببها، وإنما

---

[١] تاريخ الطبري (٥/٣٥٣).

[٢] مصنف ابن أبي شيبة (٧/٤٧٢).

[٣] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣/٢٢٤).

[٤] تهذيب تاريخ دمشق (٤/٣٩).

[٥] قال شيخ الإسلام ابن تيمية في الوصية الكبرى ص (٢٣): « اتفق أصحاب رسول الله ﷺ على بيعة عثمان ﷺ بعد عمر ﷺ، وثبت عن النبي ﷺ أنه قال: « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإيّاكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة** ». فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ آخر الخلفاء الراشدين المهديين، وقد اتفق عامة أهل السنة من العلماء والعباد والأمراء والأجناد على أن يقولوا: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ﷺ ».

[٦] العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (ص ١٦٢).

هاجت بسبب أن معاوية ابن عمّه فامتنع علي.[١]

وعن أبي مسلم الخولاني أنه قال لمعاوية: أنت تنازع علياً، أم أنت مثله ؟ فقال: لا والله إني لأعلم أنه أفضل مني، وأحق بالأمر مني، ولكن ألستم تعلمون أن عثمان قتل مظلوماً، وأنا ابن عمه، والطالب بدمه، فأتوه فقولوا له: فليدفع إليّ قتلة عثمان، وأسلم له، فأتوا علياً فكلموه، فلم يدفعهم إليه.[٢]

معركة صفين بين أهل العراق وأهل الشام:

قال حذيفة بن اليمان لمّا بلغه قتل عثمان: اللهم إنك تعلم براءتي من دم عثمان، فإن كان الذين قتلوه أصابوا، فإني بريء منهم، وإن كانوا أخطؤوا فقد تعلم براءتي من دمه، وستعلم العرب لئن كانت أصابت بقتله، لحلبنا بذلك لبناً، وإن كانت أخطأت بقتله لتحلبن بذلك دماً، فاحتلبوا بذلك دماً، ما رفعت عنهم السيوف، ولا القتل.[٣]

وفي العام السادس والثلاثين للهجرة كانت موقعة صفين بين جند العراق وجند الشام، وهاجت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ عشرات الألوف، فلم يحضرها منهم مائة، بل لم يبلغوا ثلاثين.[٤]

ووصلت الجيوش إلى صفين من الفرات شرقي بلاد الشام، وكان وصول معاوية وجنده قبل علي وجنده، وقبل ذلك أرسل علي إلى معاوية جرير بن عبد الله البجلي لإخباره عن موقعة الجمل والتفاوض معه للتسليم والمبايعة، ويعلمه باجتماع المهاجرين والأنصار على بيعته، فلما انتهى إليه جرير، أعطى معاوية كتب علي ﷺ، وطلب معاوية عمرو بن العاص ورؤوس أهل الشام فاستشارهم، فأبوا أن يبايعوا حتى يقتل قتلة عثمان.[٥] ثم حجز جيش معاوية الماء، وعطش جيش علي ثم أرسل علي الأشعث بن قيس في ألفين ودارت أول معركة بين الفريقين، انتصر فيها واستولى على الماء.[٦] ولم يكن القتال على الماء جدياً، وقد قال عمرو بن العاص يومئذ: ليس من المنصف أن نكون ريانين وهم

---

[١] الصواعق المحرقة (٦٢٢/٢).

[٢] فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٩٢/١٣).

[٣] تحقيق موقف الصحابة ﷺ (٢٨/٢).

[٤] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٧٠/٧).

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٦٥/٧).

[٦] مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٤/١٥).

عطاش.[١] وكان ذلك في ذي الحجة، وقامت حروب ومناوشات بين المعسكرين على شكل فرق صغيرة تتكون من ألفين أو يزيد قليلاً، كل يوم له أمير من كلا الطرفين، فلما انسلخ ذو الحجة ودخل المحرم تداعى الناس للمتاركة، لعل الله أن يصلح بينهم على أمر يكون فيه حقن دمائهم.[٢]

ثم تراسل الفريقين، وعلي ﷺ يطالب معاوية ﷺ وأهل الشام بالبيعة، ومعاوية ﷺ يطالب أن يقتل قتلة عثمان ﷺ أولاً، ثم وقعت المعركة في شهر صفر من العام السابع والثلاثين أياماً عدة، يصمد كلا الفريقين للآخر والحروب سجال، وقتل عمار بن ياسر رضي الله عنهما وهو في صف علي، وقد جاوز من العمر الرابعة والتسعين عاماً، وكان يحارب بحماس، يعرض الناس، ويستنهض الهمم، ولكنه بعيد كل البعد عن الغلو، فقد سمع رجلاً بجواره يقول: كفر أهل الشام، فنهاه عمار عن ذلك وقال: إنما بغوا علينا، فنحن نقاتلهم لبغيهم، فإلهنا واحد ونبينا واحد وقبلتنا واحدة.[٣] قال رسول الله ﷺ: « **تقتل عماراً الفئة الباغية** ».[٤]

قال ابن حجر: « وفي هذا الحديث علم من أعلام النبوة وفضيلة ظاهرة لعلي ولعمار رضي الله عنهما، وردٌّ على النواصب[٥] الزاعمين أن علياً لم يكن مصيباً في حروبه.[٦] ودلَّ على أن علياً كان المصيب في تلك الحرب، لأن أصحاب معاوية قتلوه ».[٧]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: « وهو دليل على أنه لم يكن يجوز قتال علي، وعلى هذا فمقاتله مخطئ ـ وإن كان متأولاً ـ أو باغٍ بلا تأويل ـ وهو أصح القولين لأصحابنا، وهو الحكم بتخطئة من قاتل علياً، وهو مذهب الأئمة الفقهاء الذين فرّعوا على ذلك قتل البغاة المتأولين ».[٨]

---

[١] العواصم من القواصم لابن العربي المالكي (١٧٥).
[٢] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٧٥/٧).
[٣] مصنف ابن أبي شيبة (٢٩٠/١٥).
[٤] مسلم (٢٩١٦) في كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكان الميت من البلاء.
[٥] هم الذين ناصبوا علياً ﷺ العداء.
[٦] فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٦٤٦/١).
[٧] فتح الباري للحافظ ابن حجر العسقلاني (٩٢/١٣).
[٨] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣٧/٤ ـ ٤٣٨).

ولمّا وقع القتل في جند الشام حتى اعتصموا بتلّ، قال عمرو بن العـاص رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه: « أرسل إلى علي بمصحف وادعُه إلى كتاب الله فإنه لن يأبى عليك، فجاء به رجل فقال: بيننا وبينكم كتاب الله ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٣]. فقال علي: نعم، أنا أولى الناس بذلك، بيننا كتاب الله. قال الراوي: فجاءته الخوارج ونحن ندعوهم يومئذ القراء وسيوفهم على عواتقهم فقالوا: يا أمير المؤمنين، ما ننتظر بهؤلاء القوم الذين على التل، ألا نمشي إليهم بسيوفنا حتى يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فتكلم سهل بن حنيف فقال: أيها الناس اتهموا أنفسكم - ثم ذكر يوم الحديبية وما حصل فيها من الصلح. فقال علي رضي الله عنه يوم وقع الصلح بينه وبين معاوية في صفين: أيها الناس إن هذا فتح.[1] ورغب أكثر الناس من العراقيين وأهل الشام بكمالهم إلى المصالحة والمسالمة مدة، لعله يتفق أمر يكون فيه حقن دماء المسلمين، فكل من الجيشين فيه من الشجاعة والصبر ما ليس في الدنيا مثله، ولهذا لم يفرَّ أحد عن أحد، بل صبروا حتى قتل من الفريقين واحد وسبعون ألفاً ».[2]

قصة التحكيم:[3]

واتفق الطرفان أن يكون التحكيم في شهر رمضان عام سبعة وثلاثين للهجرة، وذلك إن لم يحدث عوائق، وكان من فريق علي الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري، وعمرو بن العاص عن معاوية رضي الله عنهم أجمعين في دومة الجندل.[4]

وأما علي فقد اختلف الناس معه، وأصرّ القراء على أبي موسى لأنه اعتزل الفتنة والقتال، وكان علياً يريد أن يوكل عبد الله بن عباس رضي الله عنهما.[5]

وبعد توقف القتال والرضا بالتحكيم ورجوع كل فريق إلى موقعه استقر الأمر في بلاد الشام، ووقعت الفرقة في العراق، وخاصة من الخوارج الذين قاتلهم علي رضي الله عنه بعد

---

(1) مصنف ابن أبي شيبة (٣٣٦/٨). مسند أحمد مع الفتح الرباني (٤٨٣/٨).

(2) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٢٩٣/٧).

(3) وفي قصص التحكيم المكذوبة يرجع إلى كتاب العوصم من القواصم لابن العربي المالكي ص (١٧٥).

(4) تاريخ خليفة خياط (ص ١٩١ - ١٩٢).

(5) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٣٩٥/٧).

ما أفسدوا في الأرض، ومن شيعته الذين قال فيهم: اللهم إني قد سئمتهم وسئموني، ومللتهم وملوني، فأرحني منهم وأرحهم مني، فما يمنع أشقاكم أن يخضبها بدم، ووضع يده على لحيته.[١] فقتله فيما بعد رجل من الخوارج اسمه عبد الرحمن بن ملجم، ولما جاء خبر قتل علي إلى معاوية جعل يبكي، فقالت له امرأته: أتبكيه وقد قاتلته ؟ فقال: ويحك إنك لا تدرين ما فقد الناس من الفضل والفقه والعلم.[٢]

معاوية رضي الله عنه والحسن بن علي رضي الله عنهما:

ولما ضُرب أمير المؤمنين علي قيل له: استخلف، فقال: لا، ولكن أدعكم كما ترككم رسول الله ﷺ - يعني بغير استخلاف - فإن يرد الله بكم خيراً يجمعكم على خيركم كما جمعكم على خيركم بعد رسول الله ﷺ.[٣]

وبعد مقتل علي رضي الله عنه صلّى عليه الحسن رضي الله عنهما وكبّر عليه أربع تكبيرات، ودفن في الكوفة، وكان أول من بايع الحسن قيس بن سعد، قال له: ابسط يدك أبايعك على كتاب الله، وسنة نبيه ﷺ وقتال المخالفين، فقال له الحسن رضي الله عنه: على كتاب الله وسنة نبيه ﷺ فإن ذلك يأتي من وراء كل شرط، فبايعه وسكت، وبايع الناس، وقد اشترط على أهل العراق عندما أرادوا بيعته، فقال لهم: إنكم سامعون مطيعون، تسالمون من سالمت، وتحاربون من حاربت.[٤] وهذا مقدمة للصلح وكان الخليفة وأمير المؤمنين بعد أبيه.

قال ابن كثير: « والدليل على ذلك الحديث الذي أوردناه في دلائل النبوة أن رسول الله ﷺ قَالَ: « **الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم تكون ملكاً** ».[٥] وإنما أكملت الثلاثون بخلافة الحسن بن علي رضي الله عنهما، فإنه نزل عن الخلافة لمعاوية في ربيع الأول من سنة إحدى وأربعين، وذلك كمال الثلاثين سنة من موت رسول الله ﷺ، فإنه توفي في ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وهذا من دلائل النبوة ».[٦]

---

[١] مصنف عبد الرزاق (١٠/١٥٤).

[٢] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/١٣٣).

[٣] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٤٠٢).

[٤] تاريخ الطبري (٦/٧٣).

[٥] أخرجه الترمذي (٢٢٢٦) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/٤٠٤).

فعن أبي موسى قال: سمعت الحسن يقول: استقبل والله الحسن بن علي معاوية بكتائب أمثال الجبال، فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تَقْتُل أقرانها، فقال معاوية ـ وكان والله خير الرجلين ـ: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء، وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور الناس ؟ من لي بنسائهم ؟ من لي بضيعتهم ؟ فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس ـ عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز ـ فقال: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه. فأتياه فدخلا عليه فتكلما وقالا له وطلبا إليه. فقال لهما الحسن بن علي: إنا بنو عبد المطلب قد أصبنا من هذا المال، وإن هذه الأمة قد عاثت في دمائها. قالا: فإنه يعرض عليك كذا وكذا، ويطلب إليك ويسألك. قال فمن لي بهذا ؟ قالا: نحن لك به. فما سألهما شيئاً إلا قالا: نحن لك به. فصالحه . فقال الحسن: ولقد سمعت أبا بكرة يقول: رأيت رسول الله ﷺ على المنبر ـ والحسن بن علي إلى جنبه ـ وهو يقبل على الناس مرة وعليه أخرى ويقول: « **إن ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين** ».[1]

وبتنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما اكتملت عوامل تولي الخلافة، وتهيأت له جميع أسبابها، فبويع أميراً للمؤمنين عام واحد وأربعين للهجرة، وسمي هذا العام بعام الجماعة.[2] فمعاوية رضي الله عنه أفضل ملوك هذه الأمة، والذين كانوا قبله خلفاء نبوة، وأما هو فكانت خلافته ملكاً، وكان ملكه ملكاً ورحمة، وكان في ملكه من الرحمة والحلم ونفع المسلمين ما يعلم به أنه كان خيراً من غيره من الملوك.

الخلافة في عهد معاوية رضي الله عنه:

الحياة السياسية:

لقد بيّن منهجه في الحكم في خطبته التي ألقاها من على منبر رسول الله ﷺ فقال رضي الله عنه بعد الحمد والثناء على الله: أما بعد، فإني والله وليت أمركم حين وليته وأنا أعلم أنكم لا تسرون بولايتي ولا تحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك، ولكني خالستكم بسيفي هذا مخالسة، ولقد رمت نفسي على عمل ابن أبي قحافة فلم

---

[1] أخرجه البخاري (٢٧٠٤) في كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: « **ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين** ». وقوله جلّ ذكره: ﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ﴾ [الحجرات: ٩].

[2] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٧/٣).

أجدها تقوم بذلك ولا تقدر عليه، وأردتها على عمل ابن الخطاب فكانت أشد نفوراً وأعظم هرباً من ذلك، وحاولتها على مثل سنيات عثمان فأبت علي، وأين مثل هؤلاء ؟ ومن يقدر على أعمالهم ؟ هيهات أن يدرك فضلهم أحد ممن بعدهم، رحمة الله ورضوانه عليهم، غير أني سلكت بها طريقاً فيه منفعة، ولكم فيه مثل ذلك، ولكل فيه مواكلة حسنة ومشاربة جميلة ما استقامت السيرة وحسنت الطاعة، فإن لم تجدوني خيركم فأنا خير لكم، والله لا أحمل السيف على من لا سيف معه، ومهما تقدم مما علمتموه فقد جعلته دبر أذني، وإن لم تجدوني أقوم بحقكم كله فارضوا مني ببعضه فإنها بقابية قوبها، وإن السيل إذا جاء يبري، وإن قل أغنى، وإياكم والفتنة فلا تهموا بها، فإنها تفسد المعيشة، وتكدر النعمة، وتورث الاستيصال. أستغفر الله لي ولكم، أستغفر الله، ثم نزل.

قال أهل اللغة القابية: البيضة. والقوب: الفرخ. قابت البيضة تقوب إذا انفلقت عن الفرخ.[1]

وهكذا بيّن علمه بالناس، وأن حكمه لا يكون مثل الأفاضل في الخلافة، وفي ذلك قطع لموضوع المقارنة بينه وبين من سبقه في تولي أمور المسلمين. ثم بيّن لهم حكمه إن وجدوه لم يقم بما يجب، أن يرضوا منه بما أعطى، وحذر من الفتنة لأنها ضد النعمة.

أهل الشورى:

عندما آلت الخلافة إليه، لم يكن ممن يجهل فوائد الشورى ويهمل الأخذ بها، وما كان يصدر في المهمات إلا عن مشورة من ذوي الرأي من الولاة ووجوه الناس وأشراف القوم وأهل العلم. وكان كبار مستشاريه عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهما.[2]

أهل الحل والعقد:

والذي تحقق في عهده ﷺ أن أهل الحل والعقد هم الولاة، وزعماء القبائل، وقادة الجيوش ونحوهم، وتركزت الشوكة والقوة الفعلية في أهل الشام، حيث كانوا قادرين

---

[1] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٢٨/٨).

[2] تاريخ الحضارة العربية والإسلامية (ص ٥٥).

على الاختيار وتحقيق إرادتهم وإمضاء رغبتهم على مخالفيهم.[١]

الولاة:

استعان بـأهل الـصحبة والكفاية والولاء وجعلهم ولاة على الأمصار، ومع أن معاوية ﷺ اختار بعض أعوانه من أهل بيته يوليهم الولايات، إلا أنه كان يختبرهم في ذلك بالمهام الصغيرة ويوسع عليهم على قدر اتساع مداركهم.[٢]

الولايات:

كانت أهم الولايات في عهده الحجاز والكوفة والشام.

أوصى معاوية ابنه يزيد فقال: انظر أهل الحجاز فإنهم أهلك، فأكرم من قدم عليك منهم، وتعهـد مـن غاب، وانظر أهـل العراق فإن سألوك أن تعزل عنهم كل يوم عاملاً فافعل، فإن عزل عامل أحب إليّ من أن تشهر عليك مائة ألف سيف، وانظر أهل الشام، فليكونوا بطانتك وعيبتك، فإن نابك شيء من عدوك فانتصر بهم.[٣]

القضاء:

يعتبر القضاء في عهد معاوية ﷺ امتداداً للعهد الراشدي في عدة جوانب، فبقي كثير من الصحابة ﷺ إلى العهد الأموي، وشاركهم في العلم والفقه والقضاء، وبقيت آثار التربية الدينية وسمو العقيدة وآثار الإيمان والالتزام بأهداب الدين، وظهر عدد كبير من المجتهدين الذين كانوا صلة الوصل بين الصحابة ﷺ والتابعين.[٤]

من القضاة الذين عملوا لمعاوية ﷺ:

فضالة بن عبيد في الشام بترشيح من أبي الدرداء ﷺ. وكـان قـاضي الـمدينة أبو هريرة ﷺ. وفي الكوفة شريح القاضي الـذي جعلـه علـى القضـاء عمر بن الخطاب ﷺ[٥] وغيرهم من خيار التابعين المشهود لهم بالعلم والفقه وحسن القضاء. وقال سعد بن أبي وقاص ﷺ: ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بـحق من صـاحب هـذا الباب ـ يعنـي معاوية ﷺ ـ.

---

[١] الدولة والمجتمع في العصر الأموي (ص ١٢٨).

[٢] خلافة معاوية ﷺ للعقيلي (ص ٧٥). بتصرف.

[٣] التاريخ الإسلامي (١٢١/٤).

[٤] تاريخ القضاء في الإسلام (ص ١٦٥).

[٥] تاريخ القضاء في الإسلام (ص ٢٠٧).

الحياة الاجتماعية:

خطب معاوية رضي الله عنه فقال فيها: « فأنا ابن بضع وستين، فرحم الله من دعا لي بالعافية، فوالله لئن عتب علي بعض خاصتكم، لقد كنت حدباً[١] على عامتكم ». فعجّ الناس يدعون له، وبكى.[٢]

وأغلظ رجل لمعاوية رضي الله عنه فقال: أنهاك عن السلطان، فإن غضبه غضب الصبيّ، وأخذه أخذ الأسد.[٣] وكان ملكه ملكاً ورحمة.[٤]

عن أبي الحسن قال: قال عمرو بن مرة رضي الله عنه لمعاوية رضي الله عنه إني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « **ما من إمام يغلق بابه دون ذوي الحاجة والخلة والمسكنة إلا أغلق الله أبواب السماء دون خلته وحاجته ومسكنته** ». فجعل معاوية رضي الله عنه رجلاً على حوائج الناس.[٥]

وكان يخرج للعامة ويصلّي بهم ويجلس إليهم، ويأكل معهم ويغلب الناس. قال ابن عباس رضي الله عنهما: « علمت بما كان معاوية يغلب الناس. كان إذا طاروا وقع، وإذا وقعوا طار. وكان الرجل يقول لمعاوية: والله لتستقيمن بنا يا معاوية، أو لنقوِّمنَّك. فيقول: بماذا ؟ فيقول: بالخُشب ـ أي السيف ـ. فيقول: إذاً أستقيم ».[٦]

الحياة الاقتصادية:

أما بالنسبة إلى الموارد الاقتصادية لدولته فلم تتغير عن دولة الخلافة الراشدة من حيث جباية الزكاة وما يدفع من الجزية من أهل الذمة، والخراج[٧] التي كانت الريادة في تنظيمه لسياسة عمر بن الخطاب رضي الله عنه المالية[٨]، والصوافي وهو ما اصطفاه الإمام لبيت المال من أرض الفيء، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو من البلاد المفتوحة عنوة بحق الخمس

---

[١] حدباً: يقال حدب فلان على فلان يحدب حدباً فهو حدب، وتحدب: تعطف وحنا عليه، يقال: كالوالد الحدب.

[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣/١٥٦).

[٣] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣/١٥٢).

[٤] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/٤٧٨).

[٥] رواه الترمذي (١٣٣٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٦] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (٣/١٥٤).

[٧] وهو إيراد الأراضي التي افتتحها المسلمون عنوة، وأوقفها الإمام لصالح المسلمين على الدوام. انظر: الاستخراج لأحكام الخراج (ص ٤٠).

[٨] التطور الاقتصادي في العصر الأموي (ص ٧٣).

أو باستطابة نفوس الغانمين، كما فعل عمر بن الخطاب ﷺ.[١] وخمس الغنائم التي غلب عليها جيش المسلمين في الفتوحات، وقد اتبع النظام العمري في هذا الأمر.[٢]

أهم سُبل الإنفاق في عصره:

١ ـ الجند والنفقات العسكرية:

عمل على تحسين حالة الجند المعيشية فزاد في أعطياتهم، بسبب الظروف المستجدة وتحسن الأحوال الاقتصادية في الدولة[٣]، وإثبات ذلك في الدواوين.

٢ ـ المجتمع:

كان أمير المؤمنين معاوية ﷺ يتفقد أحوال القبائل كجزء من سياسته في حفظ التوازن بين قبائل اليمن والقبائل القيسية ـ مضر ـ. وكان قد جعل على كل قبيلة من قبائل العرب بمصر رجلاً يصبح كل يوم فيدور على المجالس فيقول: هل ولد فيكم مولود ؟ وهل نزل بكم نازل ؟ فيقال: ولد لفلان غلام ولفلان جارية، فيقال: سموهم ؟ فيكتب.[٤]

٣ ـ النفقات الإدارية:

وكانت في رواتب الموظفين والعاملين في الشرطة والقضاة ليتفرغوا للقضاء.[٥]

٤ ـ الاهتمام بالزارعة والإنفاق عليها:

وكان اهتمام الدولة بإحياء الأرض الموات من أراضي الصوافي وغيرها من الأراضي المفتوحة الخصبة، وبالذات إقليم العراق وما شابهه. وقد ساعدهم في ذلك حجم السيولة المالية التي يملكونها، فقد أحيا والي معاوية ﷺ على خراج العراق أرضين من البطحائح، وقد بلغت غلتها خمسة ملايين درهم.[٦]

٥ ـ الاهتمام بالدواوين:

كان هناك دواوين مركزية تابعة لمعاوية ﷺ منها:

---

[١] الأحكام السلطانية (ص ١٩٢).

[٢] الإدارة في العصر الأموي (ص ٢١).

[٣] حسن المحاضرة للسيوطي (٦٥/١).

[٤] حسن المحاضرة للسيوطي (٦٥/١).

[٥] الإدارة في العصر الأموي (ص ٣١٠).

[٦] فتوح البلدان (ص ٢٩١).

أ ـ **ديوان الرسائل**: وهي الهيئة المشرفة على تحرير رسائل الخليفة وأوامره وعهوده ووصاياه ومواثيقه إلى الموظفين في الأقاليم الإسلامية، وإلى البلدان الخارجية التي لها علاقة بالدولة الإسلامية.[١]

ب ـ **ديوان الخاتم**: أنشأ معاوية ﷺ ديوان الخاتم لتحقيق السرية والأمان لمراسلات الدولة فلا تطلع عليها عين جاسوس ولا تصل إليها يد خائن.[٢]

ج ـ **ديوان البريد**: كان معاوية ﷺ أول من أدخل نظام البريد في الدولة الإسلامية، وأصدر أوامره بوضع الخيول في عدة أماكن، وقام بتنظيمه.[٣]

د ـ **نظام الكتبة**: كان هناك كاتب لديوان الرسائل، وآخر لديوان الخراج، وثالث لديوان الجند والشرطة والقضاء، ويقوم الموظفون فيه بنسخ أوامر الخليفة وإيداعها ديوان الخاتم، بعد أن تحزم وتختم بالشمع، ثم تختم بخاتم صاحب الديوان.[٤]

الجهاد في عهد معاوية ﷺ:

عندما اجتمع الأمر عليه ورتّب الأمور داخل الدولة، وذلك في عام الجماعة، قام بغزو منطقة اللان في بلاد الروم، وذلك في عام ثِنتين وأربعين[٥]، وبعد ذلك كانت في كل سنة تخرج جيوش الإسلام للجهاد في سبيل الله.

وفي عهده عام تسعة وأربعين وصل الجيش الإسلامي إلى أسوار القسطنطينية وشارك بها كبار الصحابة ﷺ من أمثال أبي أيوب الأنصاري ﷺ وأبناء الصحابة ﷺ ابن عمر وابن عباس وابن الزبير ﷺ.[٦]

ورتبت الدولة الإسلامية في عهده الصوائف والشواتي، ولم تكن حركة الجهاد تفتر في وقت من الأوقات، والفتوح تأتي إليه في كل حين بالتبشير بالنصر.

وكذلك الأمر فتوحات المغرب العربي، وكانت في عام الجماعة الواحد والأربعين للهجرة فتح قمونية موضع القيروان، ثم حمل الراية عقبة بن نافع

---

(١) إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي (ص ١١٤).

(٢) الدولة الأموية المفترى عليها (ص ٤٣٣).

(٣) إدارة بلاد الشام في العهدين الراشدي والأموي (ص ١٧٤).

(٤) تاريخ الإسلام (٤٥٨/١).

(٥) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤١٢/٨).

(٦) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٤٢١/٨).

حـتى وصل إلى المحيط.[١]

من صفات معاوية ﷺ:

١ ـ **العلم والفقه**: فعن ابن أبي مليكة قال: قيل لابن عباس رضي الله عنهما: هل لك في أمير المؤمنين معاوية فإنه ما أوتر إلا بواحدة ؟ قال: « أصاب، إنه فقيه ».[٢]

وعن أبي الدرداء ﷺ قال: « ما رأيت أحداً أشبه صلاة بصلاة رسول الله ﷺ من إمامكم هذا ». يعني معاوية ﷺ.[٣]

فهذه شهادة الصحابة ﷺ بفقهه ودينه، والشـاهد بـالفقه ابن عباس رضي الله عنهما وبحسن الصلاة أبو الدرداء ﷺ، وهما من هما، والآثار الموافقة لهذا كثير.

٢ ـ **تمسكه بالسنة النبوية**: خرج معاوية ﷺ فقام عبد الله بن الزبير وابن صفوان حين رأوه، فقال: اجلسا، سمعت رسول الله ﷺ يقول: « **من سرَّه أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار** ».[٤]

٣ ـ **الحلم والأناة**: وذكر عبد الملك بن مروان يوماً معاوية ﷺ فقال: ما رأيت مثله في حلمه واحتماله وكرمه. وقال له رجل: يا أمير المؤمنين، مـا أحلمك ؟ فقال: إني لأستحيي أن يكون جرم أحد أعظم من حلمي. وقال أبو عبيدة معمر بن المثنى: كان معاوية ﷺ يتمثل بهذه الأبيات كثيراً:

فمـا قتـل السـفاهة مثـلُ حلـم … يعـود بـه علـى الجهـل الحلـيمُ
فـلا تـسفه وإن ملِّئـت غيظـاً … علـى أحـدٍ فـإن الفحـش لـومُ
ولا تقطـع أخـاً لـك عنـد ذنـب … فـإن الـذنب يغفـره الكـريم[٥]

٤ ـ **تواضعه وورعه**: كان يقول في الخطب: أيها الناس ما أنا بخيركم، وإن منكم لمن هو خير مني، عبد الله بن عمر وعبد الله بن عمرو وغيرهما من الأفاضل، ولكن عسى أن أكون أنفعكم ولاية، وأنكاكم في عدوكم، وأدرككم حلباً.[٦]

---

[١] التاريخ الإسلامي (١٠٧/٤).

[٢] البخاري (٣٧٦٥) في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب ذكر معاوية ﷺ.

[٣] مجمع الزوائد للهيثمي (٣٥٧/٩) وقال: رواه الطبراني، ورجاله رجال الصحيح غير قيس بن الحارث المذحجي، وهو ثقة.

[٤] أخرجه الترمذي (٢٧٥٥) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٨/ ٥٣٠ ـ ٥٣١).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٢٩/٨).

وقال ابن سيرين: جعل معاوية رضي الله عنه لما احتضر يضع خداً على الأرض ثم يقلب وجهه ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: « اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له ». وقال: « اللهم أقل العثرة، واعفُ عن الزلّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك ».[١]

٥ ـ **البكاء من خشية الله** : روي في مجلس معاوية رضي الله عنه حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: « **إن الله تبارك وتعالى إذا كان يوم القيامة ينزل إلى العباد ليقضي بينهم وكل أمة جاثية، فأول من يدعو به رجل جمع القرآن، ورجل يقتل في سبيل الله، ورجل كثير المال، فيقول الله تبارك وتعالى للقارئ: ألم أعلمك ما أنزلت على رسولي ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما عُلِّمت ؟ قال: كنت أقوم به آناء الليل وآناء النهار. فيقول الله تبارك وتعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال إن فلاناً قارئ فقد قيل ذاك. ويؤتى بصاحب المال فيقول الله له: ألم أوسع عليك حتى لم أدعك تحتاج إلى أحد ؟ قال: بلى يا رب. قال: فماذا عملت فيما آتيتك ؟ قال: كنت أصل الرحم وأتصدق. فيقول الله له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله تعالى: بل أردت أن يقال فلان جواد فقد قيل ذاك. ويؤتى بالذي قتل في سبيل الله، فيقول الله له: في ماذا قتلت ؟ فيقول: أمرت بالجهاد في سبيلك فقاتلت حتى قتلت. فيقول الله تعالى له: كذبت. وتقول له الملائكة: كذبت. ويقول الله: بل أردت أن يقال فلان جريء فقد قيل ذاك** ». ثم ضرب رسول الله ﷺ ركبتي فقال: « **يا أبا هريرة، أولئك الثلاثة أول خلق الله تسعر بهم النار يوم القيامة** ». فعندما سمع معاوية رضي الله عنه هذا الحديث قال: قد فعل بهؤلاء مثل هذا فكيف بمن بقي من الناس ؟ ثم بكى معاوية بكاء شديداً حتى ظن من حوله أنه هلك.[٢]

٦ ـ **شجاعته وإقدامه:**

جهاده ضد الروم: ففي عام خمس وعشرين للهجرة قام بجولة عسكرية على

---

[١] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٨/٨).

[٢] رواه الترمذي (٢٣٨٢) وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.

الثغور الشامية.[١] كما قام بنفسه بحملة أخرى يريد التوغل في أرض الروم. ومرّ على ملطية فشحنها بجماعة من أهل الشام والجزيرة وغيرهما، كما غزا حصن المرأة.[٢] ولما اطمأن إلى قوته، قاد بنفسه عام اثنين وثلاثين للهجرة التوغل بأرض الروم حتى وصل إلى مضيق القسطنطينية.[٣] وكان أول قائد من هذه الأمة ركب البحر، وأخذ معه زوجته فاختة بنت قرظة.

٧ ـ **الذكاء والدهاء**: كان عمر رضي الله عنه يقول: تعجبون من دهاء هرقل وكسرى وتدعون معاوية.[٤]ولما قدم عمر رضي الله عنه الشام، تلقاه معاوية رضي الله عنه في موكب عظيم وهيئة، فلما دنا منه قال: أنت صاحب الموكب العظيم ؟ قال: نعم، قال: مع ما بلغني عنك من طول وقوف ذوي الحاجات ببابك. قال: نعم. قال: ولم تفعل ذلك ؟ قال: نحن في أرض جواسيس، العدو بها كثير، فيجب أن نظهر من عز السلطان ما يرهبهم، فإن نهيتني انتهيت. قال: يا معاوية ! ما أسألك عن شيء إلا تركتني في مثل رواجب الضرس، لئن كان ما قلت حقاً إنه لرأي أريب، وإن كان باطلاً فإنه لخدعة أديب.[٥]

ثناء الصحابة رضي الله عنهم على معاوية رضي الله عنه:

١ ـ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: « لا تكرهوا إمارة معاوية، فوالله لئن فقدتموه لترون رؤوساً تندر عن كواهلها كأنها الحنظل ».[٦]

٢ ـ قال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: « ما رأيت أحداً أسود من معاوية ». قال: قلت ولا عمر ؟ قال: « كان عمر خيراً منه، وكان معاوية أسود ».[٧]

٣ ـ قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: « لله درّ ابن هند ما أكرم حسبه، وأكرم مقدرته، والله ما شتمنا على منبر قط، ولا بأرض، ضناً منه بأحسابنا حسبه ».[٨]

---

[١] فتوح البلدان (ص ٦٩).

[٢] فتوح البلدان (ص ١٨٧).

[٣] تاريخ خليفة خياط (ص ١٦٧).

[٤] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٤/٣).

[٥] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٣/٣).

[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٢٦/٨).

[٧] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥٢/٣).

[٨] تاريخ دمشق لابن عساكر (١٢٨/٦٢ ـ ١٢٩)

وقد شهد له بأنه فقيه. وقال أيضاً: « ما رأيت رجلاً كان أخلق بالملك من معاوية ».[١]

٤ ـ قال سعد بن أبي وقاص ﷺ: « ما رأيت أحداً بعد عثمان أقضى بحق من صاحب هذا الباب ». يعني معاوية.[٢]

٥ ـ قال أبو الدرداء ﷺ: « ما رأيت أحداً بعد رسول الله ﷺ أشبه صلاة برسول الله ﷺ من أميركم هذا ». يعني معاوية.[٣]

٦ ـ كان أبو هريرة ﷺ يمشي في أسواق المدينة وهو يقول: « ويحكم، تمسكوا بصدغي معاوية، اللهم لا تدركني إمارة الصبيان ».

ثناء التابعين على معاوية ﷺ:

١ ـ **سعيد بن المسيب**: قال ابن وهب عن مالك عن الزهري قال: « سألت سعيد بن المسيِّب عن أصحاب رسول الله ﷺ فقال لي: اسمع يا زهري، من مات محباً لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي، وشهد للعشرة بالجنة، وترحم على معاوية، كان حقيقاً على الله أن لا يناقشه الحساب ».[٤]

٢ ـ **مجاهد**: قال الأعمش عن مجاهد أنه قال: « لو رأيتم معاوية لقلتم هذا المهدي ».[٥]

٣ ـ قال **عبد الله بن المبارك**: « معاوية عندنا منحة، فمن رأيناه ينظر إليه شزراً اتهمناه على القوم، يعني الصحابة ﷺ ».[٦]

٤ ـ قال **شيخ الإسلام ابن تيمية**: « واتفق العلماء على أن معاوية ﷺ أفضل ملوك هذه الأمة، فإن الأربعة قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول الملوك،وكان ملكه ملكاً ورحمةً».[٧]

٥ ـ **عمر بن عبد العزيز**: وعن إبراهيم بن ميسرة قال: « ما رأيت عمر بن عبد

---

[١] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٠/٨).
[٢] سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٥٠/٣).
[٣] مجمع الزوائد (٣٥٧/٩).
[٤] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٤/٨).
[٥] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٠/٨).
[٦] البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٤/٨).
[٧] مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٧٨/٤).

العزيز ضرب إنساناً قط إلا إنساناً شتم معاوية ».[(١)]

٦ ـ قال **الحافظ الذهبي رحمه الله**: « أمير المؤمنين ـ معاوية ـ ملك الإسلام. وحسبك بمن يؤمره عمر ثم عثمان على إقليم ـ هو ثغر ـ فيضبطه ويقوم به أتم قيام، ويرضى الناس بسخائه وحلمه، فهذا الرجل ساد وساس العالم بكمال عقله، وفرط حلمه، وسعة نفسه، وقوة دهائه ورأيه ».[(٢)]

٧ ـ قال **ابن أبي العز الحنفي**: « وأول ملوك المسلمين معاوية ﷺ، وهو خير ملوك المسلمين ».[(٣)]

وفاته ﷺ:

قال ابن سيرين: جعل معاوية ﷺ لما احتضر يضع خداً على الأرض ثم يقلب وجهه، ويضع الخد الآخر ويبكي ويقول: « اللهم إنك قلت في كتابك: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء: ٤٨] اللهم فاجعلني فيمن تشاء أن تغفر له ». ثم قال: « اللهم أقل العثرة، واعفُ عن الزلّة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك، فإنك واسع المغفرة، ليس لذي خطيئة من خطيئته مهرب إلا إليك ».

وتوفي بدمشق في رجب سنة ستين[(٤)] وعاش سبعاً وسبعين سنة.[(٥)]

وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.

---

(١) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٥/٨).

(٢) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٣٢/٣ ـ ١٣٣).

(٣) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي (ص ٧٢٢).

(٤) البداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٥٣٨/٨).

(٥) سير أعلام النبلاء للحافظ الذهبي (١٦٢/٣).